كشف الحقائق الخفية

عن سلفية الإسكندرية

(الخوارج الجدد)

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

رقم الإيداع : ٣٥١٦/ ٢٠٠٩

دار ابن زايد
للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - المحلة الكبرى
محمول/ ٠١٠٢٨٥٢٠٨٠

كشف الحقائق الخفية

عن سلفية الإسكندرية

(الخوارج الجدد)

الجزء الأول

تأليف

أبي عبد الله أحمد بن زايد بن حمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِل له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فإن من الإخلاص للحق ألاَّ يبالي المرء أظهَرَ الحق على لسانه أم على لسان مُخالفه؛ لأن القصد هو ظهور الحق وليس القصد هو التباهي والتفاخر بإظهاره ولذلك كان أئمة الدِّين يتمنون للمخالف أن ينطق بالحق.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:

(ما ناظرتُ أحدًا فباليتُ أظهرت الحُجة على لسانه أو على لساني) (١) .

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي ١/ ١٧٣ .

قال الإمام ابن رجب الحنبلي -رحمه الله- وهو يعلق على هذا الكلام الذي قاله الإمام الشافعي:

(وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه ومن كانت هذه حاله فإنه لا يكره أن يرد عليه قوله ويتبين له مخالفته للسنة لا في حياته ولا في مماته، وهذا هو الظن بغيره من أئمة الإسلام الذابِّين عنه القائمين بنصره من السلف والخلف ولم يكونوا يكرهون مخالفة من خالفهم أيضًا بدليل عرض له ولو لم يكن ذلك الدليل قويًا عندهم بحيث يتمسكون به ويتركون دليلهم له . . . . . فحينئذ فرد المقالات الضعيفة وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ليس هو مما يكرهه العلماء! بل يحبونه ويمدحون فاعله ويثنون عليه فلا يكون داخلاً في باب الغيبة بالكلية، فلو فرض أن أحدًا يكره إظهار خطئه المخالف للحق فلا عبرة بكراهته لذلك، فإن كراهته إظهار الحق إذا كان مخالفًا لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة.

بل الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين به سواء كان ذلك في موافقته أو مخالفته، وهذا من النصيحة لله ولكتابه ورسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامَّتهم، وذلك هو الدِّين كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-) [1] .

قلت: ومن الإخلاص للحق أن يفرح العالِم -ومَن دونه- بنقد أخطائه فرحه بنشر الحق على يديه لا فرحًا بذات النقد، بل حُبًا في ظهور الحق وخوفًا من انتشار الباطل بسببه، وخصوصًا في باب العقائد، ولسان حاله

(١) «الفرق بين النصيحة والتعيير» لابن رجب رحمه الله (ص٤).

ومقاله : «لا أستطيع مكافأتك على إحسانك إليّ حيث منعتَ الناس من الضلال بكلامي والانحراف بتقليدي، فجزاك الله خيرًا على حُسن صنيعك».

قال العلامة ابن قدامة -رحمه الله- في أواخر رسالته في الرد على ابن عقيل:

(وأرجو أن تكون هذه الرسالة أعظم الأشياء بركة عليه ونفعًا له من حيث إنها تمنع الناس من الضلال بكلامه فينقطع عنه الإثم الذي كان يعرض الوصول إليه بضلالهم به) اهـ [1] .

وهذا مثال عملي يوضح لنا أخلاق العلماء في هذا الأمر .

قال العلاَّمة الكبير الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- عندما ظن بعض الناس أنه ضاق بنقد الأستاذ السيد صقر لتحقيقه لكتاب «الشعر والشعراء»:

(ولقد زعم كثير من إخواننا ووصل إليّ ذلك أني ضقت بنقد الأستاذ السيد صقر وما أظن الذي زعم ذلك أو توهمه يعرف شيئًا من خلقي فما ضاق صدري بشيء من نقد قط لان أو قسا، والعلم أمانة.

بل إني لأرى الضيق بالنقد والتسامي عليه ليس أخلاق العلماء وليس من أخلاق المؤمنين إنما هو الغرور العلمي والكبرياء الكاذبة وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، وما قال أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب إذ ردَّت عليه امرأة وهو على المنبر يخطب خير مجتمع ظهر على وجه الأرض قال كلمة صريحة بينة: (امرأة أصابت ورجل أخطأ) لم تأخذه العزة بالإثم وتسامى على الكبرياء والغرور العلمي، وعمر هو عمر.

ثم ما هذه الفاشية المنكرة التي فشت بين المنتسبين للعلم؟

(١) «تحريم النظر في كتب الكلام» (ص٦٨) .

سأتحدث عن نفسي مضطرًا حتى لا أمس غيري: أنا أرى أن من حقي أن أنقد من أشاء، وأن أقسو في النقد ما أشاء فمن الذي يزعم لي أو يزعم لنفسه أن ينتقد الناس وأن يقسو عليهم في النقد ثم يرى من حقه عليهم أن لا ينقدوه وأن لا يتحدثوا عنه -إن أذن لهم في الحديث- إلا برفق ولين وملق ونفاق مما يسمونه في هذا العصر العجيب «مجاملة»؟

لقد رجوت الأستاذ السيد صقر أن ينقد الجزء الأول من «الشعر والشعراء» حين صدوره وقرأت نقده قبل أن يطبع في مجلة «الكتاب» الغراء ولم أجد في هذا غضاضة عليّ قط وإن كثيرًا من إخواني ليعرفون هذا الذي أقول، وقد عجبوا منه في حينه ولم أره موضعًا للعجب، ثم رجوته أن ينقد الجزء الثاني حين صدوره أيضًا ولم أر في نقده ما يمسني من قريب أو بعيد هذا رأيي الذي رُبيتُ عليه واعتنقته طول حياتي: أن لي أن أنقد آراء الناس في حدود ما أستطيع من علم وأن لهم أن ينقدوا آرائي في حدود ما يستطيعون من علم.. إن كثيرًا من الناس تغرهم المناصب والرتب وتخدعهم الألقاب العلمية الضخمة وما كان شيء من هذا ميزانًا صحيحًا للعلم ولقد نقدت كثيرًا من أمثال هؤلاء فتعاظموا واستكبروا، فمنهم من أنف أن يرد عليّ، ومنهم من سلط بعض أذنابه يشتمني، فما عبأت بهذا ولا بهذا لا استكبارًا ولا تعاظمًا ولا لأني طالب علم ورائد حقيقة ولكن لأني لم أضع نفسي في موازينهم قط - وهذا مثال- من أروع الأمثلة في آداب المتقدمين من الأئمة هذا ابن حزم الإمام العظيم وكل من سمع به يعرف قسوة قلمه وبديع نقده وطريف تشنيعه إذا ما بدا له أن يشنع على خصم بحث بحثًا فقهيًا في «المحلى» ليس من مجال القول هنا أن نفصله... وقد كتبت فيه تعليقًا على صنيع ابن حزم هذا نصه: «لله در أبي محمد بن حزم رأى خطأه فسارع

إلى تداركه وحكم بأنه الظن الباطل الذي لا يجوز وهذا شأن المنصفين من أتباع السُّنة الكريمة وأنصار الحق وهم الهُداة والقادة وقليل ما هم» وأظن في هذا مقنعًا لمن أراد أن يقنع أو يهتدي) (١) .

هذه هي أخلاق العلماء حقًا لا خُلق مَن ادَّعى أنه من العلماء وليس منهم إذا انتقده أحد وخَشِي أن يظهر للناس جهله نفث في أتباعه ما ينشرونه بين الناس: «لا تقرءوا هذا النقد والغوا فيه لعلكم تغلبون» وجاهدوا بالباطل لتدحضوا به الحق لعلكم تنصرون، ويحسبون أنهم بذلك على إبطال الحق قادرون ﴿**أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المطففين: ٤ - ٦] . فأين هؤلاء من خُلق العلماء؟!

قال العلامة البقاعي تأصيلاً لهذا المعنى وغرسًا له في نفوس المؤمنين:

(والله الذي جلَّت قُدرته وتعالت عظمته لو أن لي سعة تقوم بما أريد لكنتُ أبذل مالاً لمن ينبِّهني على خطئي، فكلما نبَّهني أحد على خطأ أعطيته دينارًا، ولقد نبَّهني غير واحد على أشياء فيه فأصلحتها، وكنتُ أدعو لهم وأُثني عليهم وأقول لهم هذا الكلام ترغيبًا في المعاودة إلى الانتقاد والاجتهاد في الإسعاف بذلك والإسعاد) اهـ (٢) .

قلت: وإذا كان النقد العلمي البنَّاء مهمًا في بيان الحق في مسائل العلم فإن أهميته تزداد عند انتشار البدع وظهورها؛ لشدة حاجة الناس إلى من يبين لهم سبيل المؤمنين من سبيل المبتدعين المجرمين، وخصوصًا إذا زادت الفتنة، فمرر هؤلاء المبتدعون كل بدعهم باسم السلفية .

---

(١) «جمهرة مقالات العلامة أحمد شاكر» (١/ ٣٧٠ - ٣٧٦) .

(٢) «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» (١/ ١٠٤).

قال ابن القيم -رحمه الله-:

(فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين.

كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل، أدخلها مَن لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين ودعا إليها وكفر من خالفها واستحل منه ما حرَّمه الله ورسوله كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفر من خالفها) اهـ [١] .

فإذا كان الأمر بهذه الخطورة كان السكوت عن بيان الحق ممن يقدر عليه غير جائز شرعًا.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

(في اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى آفة الكلام وآفة السكوت وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها فالساكت عن الحق شيطان أخرس عاصٍ مداهن إذا لم يخف على نفسه والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين) [٢] .

لا يحل السكوت وخصوصًا إذا تسمى هؤلاء المبتدعة باسم السلفية، واشتهر دُعاتهم باسم دُعاة السلفية، بل شُهرة دُعاتهم تجعل وجوب الرد وعدم السكوت أعظم.

---

(١) «الفوائد» (ص ١٦٥) .

(٢) «الداء والدواء» (ص ٢٤٩) .

قال العلامة ابن قدامة -رحمه الله- في رده على ابن عقيل الحنبلي -رحمه الله- لما تلبس ببعض بدع أهل الكلام:

(وما عادتي ذكر معائب أصحابنا وإنني لأحب ستر عوراتهم، ولكن وجب بيان حال هذا الرجل حين اغتر بمقالته قوم واقتدى ببدعته طائفة من أصحابنا وشككهم في اعتقادهم حُسن ظنهم فيه واعتقادهم أنه من جملة دُعاة السُّنة فوجب حينئذ كشف حاله وإزالة حسن ظنهم فيه ليزول عنهم اغترارهم بقوله وينحسم الداء بحسم سببه فإن الشيء يزول من حيث ثبت) اهـ [1] .

إن الرد على هؤلاء وبيان حالهم وإظهار بدعهم جهاد بل هو من أعظم الجهاد.

❑ ● ❑

(١) «تحريم النظر عن كتب الكلام» (ص ٣٥) .

جهاد المبتدعة أعظم الجهادين

• • •

وذلك لأنه يحفظ الدِّين والعقيدة الربَّانية من الانحراف والتبديل فتظل بيضاء نقية كما تلقاها الصحابة -رضوان الله عليهم- من النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا تتغير كما تغيرت العقيدة التي جاء بها موسى وعيسى عليهما السلام.

قال العلامة السعدي -رحمه الله-:

(الجهاد نوعان: جهاد يقصد به صلاح المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم وجميع شئونهم الدنيوية والدينية وفي تربيتهم العلمية والعملية وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه وعليه يتأسس النوع الثاني) [١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

(الردود على المعتزلة والقدرية وبيان تناقضهم فيها قهر المخالف وإظهار فساد قوله، هي من جنس المجاهد المنتصر فالراد على أهل البدع مجاهد حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذب عن السُّنة أفضل من الجهاد) [٢] .

وروى الهروي بسنده إلى نصر بن زكريا قال: سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول: سمعت يحيى بن يحيى يقول: (الذبُّ عن السُّنة أفضل من الجهاد في سبيل الله. قال محمد: قلت ليحيى: الرجل ينفق ماله ويتعب نفسه ويجاهد، فهذا أفضل منه؟ قال: نعم بكثير) .

---

(١) «وجوب التعاون بين المسلمين» (ص ٧ - ٨).

(٢) «نقض المنطق» (ص ١٢) .

وقال الحميدي شيخ البخاري: (والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردون حديث رسول الله ﷺ أحب إليّ من أن أغزو عدتهم من الأتراك).

وقد وجدت مثل هذا عند من هو أعلى طبقة من الحميدي .

قال عاصم بن شميخ: فرأيت أبا سعيد -يعني الخدري- بعدما كبر ويداه ترتعش يقول: (قتالهم -أي الخوارج- أجلُّ عندي من قتال عدتهم من الترك).

يعني بالترك الكفار.

ولذلك قال ابن هبيرة في حديث أبي سعيد في قتال الخوارج:

(وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى).

وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام -رحمه الله-:

(المتبع للسُّنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من الضرب بالسيوف في سبيل الله) (١) .

وقال ابن القيم -رحمه الله-:

(فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل والقائمون به أفراد من العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عددًا فهم الأعظمون عند الله قدرًا) (٢) .

---

(١) «نقلاً عن ست درر من أصول أهل الأثر» (ص ١٢٣ - ١٢٥) .
(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٥) .

فائدة: إن العقيدة النقية التي جاء بها عيسى عليه السلام وربَّى عليها أتباعه لم يستطع أن يفسدها ويغيرها الأعداء الذين كفروا بها وحاربوا من آمن بما جاء به عيسى عليه السلام.

وإنما أفسد الدِّين الذي جاء به عيسى عليه السلام من ضلَّ وابتدع من الأحبار والرهبان فحرَّفوا الدِّين باسم الدِّين، فجاءت الأجيال اللاحقة فوجدت هذا الدِّين المحرَّف واعتقدت أنه الدِّين الذي جاء به المسيح عليه السلام لسكوت الرهبان وتأييدهم وعدم ردِّهم هذا الباطل، فأصبح الكفر إيمانًا وأصبحت البدعة سُنة وأصبح الباطل حقًا باسم الدِّين.

ولذلك كان جهاد هؤلاء الذين ينشرون الباطل باسم الحق أعظم من جهاد الأعداء لأن فيه الحفاظ على الدِّين نقيًا من التحريف والباطل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

(... إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدِّين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدِّين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً) [1] .

ولذلك لم تتوقف كتائب علماء أهل السُّنة دائمًا عن رد أهل الباطل ونقد بدعهم، وقد حقق أهل العلم بذلك منافع عظيمة منها:

١- القيام بنُصح المسلمين وهذه وظيفة الرسل.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) «الفتاوى ٢٨/ ٢٣٢».

٣- جمع كلمة المسلمين ولَمّ شملهم لأن البدع تشتت الأُمة.

٤- النجاة من إثم السكوت.

٥- رفع الإثم عن الأمة بترك هؤلاء يحرِّفون في الدِّين.

٦- كسر شوكة أهل الباطل ورفع راية الحق وأهل الحق .

٧- تميز السُّنة من البدعة، والحق من الباطل، حتى تخرج الأجيال القادمة على دين غير محرَّف.

وما أعظم هذه المنافع وأجلها وما أعظم أجر القائم بها.

قلت: وقد ابتلينا في هذا الزمان ببعض المثبطين الذين انتشر الباطل بسببهم وتأخر إظهار الحق بسبب تخاذلهم فما أن يروا ردًا في كتاب حتى يحمر وجه أحدهم وتنتفخ أوداجه وتنطلق في محاربة النقد كلماته: (لحوم العلماء مسمومة - كفانا فُرقة - هؤلاء لا همَّ لهم إلا الردود - دعوا القافلة تسير والكلاب تعوي - لا تقرؤا هذه الكتب - لا تلتفتوا إلى الردود - لا وقت عندنا - دعوا هذه الفتن - اهتموا بالدعوة إلى الله - إن هذا الكاتب يريد أن يعلوا على أكتاف المشايخ - مَن هذا الذي يرد على الشيخ فلان - هؤلاء مرضى - هذه فتنة ولا نتكلم في الفتنة) .

إلى غير هذه العبارات التي تسمعها من أناس تظن فيهم الخير ولكنهم بهذا يساندون الباطل وينشرون البدع ويقضون على الحق الذي في النقد إن كان فيه، وهذا الذي قالوه فتوى في الرد الذي نزل، وهؤلاء الشباب الذين لم يتبعوا الحق الذي جاء في النقد لما سألوا هذا المتكلم أو سمعوا كلامه وعملوا بفتواه، فكان ذلك سببًا في ثباتهم على الباطل وعدم اتباع الحق سيكونون وبالاً عليه يوم القيامة لأنه السبب الأول في ضلالهم.

فإلى الله نشكوا هؤلاء الذين يتزيون بزي العلم والدفاع عن السُّنة وهم من أعظم أسباب انتشار البدعة، ولو وقفوا الوقفة التي ترضي الله -عز وجل- وهي مطالعة الرد الذي نزل، فإن كان هذا الرد حقًا أيدوه ونصروه، وإن كان باطلاً حذروا منه، وإن كان فيه حقٌ وباطلٌ نصروا الحق وأبطلوا الباطل؛ لنصر الله بهم الحق وأبطل الباطل، ورفع بهم راية السُّنة، فكان لهم بذلك أجرًا عظيمًا.

ولكن الخطر يكمن في مجموعة كبيرة من الذين تصدَّروا أمام عموم الناس، يلبسون لباس العلم ويدَّعون الانتساب للسلف، وما هُم من العلم في شيء، ولم يتأصَّلوا على المنهج السلفي ولا العقائد السلفية، وهؤلاء يمثِّلون أعظم الخطر، فمن خلالهم تنتشر أكثر البدع خطرًا.

إن الخوف على الأمة من أولئك الذين لبسوا ثياب العلم الشرعي -وما هم من العلم الشرعي في شيء- لهو الخوف الصادق على الأمة من الفساد والانحراف ذلك بأن تصدر الجهال -في حين فقد العلماء الصادقين المتمكنين- باب واسع للضلال والإضلال، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ في قوله -كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص-: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يُقبَض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضَلُّوا وأضَلوا» أخرجه البخاري ومسلم.

ولقد تنبَّه أهل العلم المخلصون لخطورة هذا الصنف من الناس على دين الأمة وعقيدتها ومصيرها فقضوا بوجوب الحذر والتحذير منهم وعدم الأخذ عنهم.

وأنا أنقل نصَّين من كلام أهل العلم هما غاية في شرح هذا الباب:

الأول: قول أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني -رحمه الله تعالى-:

(اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن أهل البدع والضلال من الخوارج والروافض والمعتزلة قد اجتهدوا أن يدخلوا على أهل السُّنة والجماعة شيئًا من بدعهم وضلالهم فلم يقدروا على ذلك، لذب أهل العلم، ودفع الباطل، حتى ظفروا بقوم في آخر الوقت ممن تصدى للعلم ولا علم له ولا فهم ويستنكف ويتكبر أن يتفهم وأن يتعلم لأنه قد صار متصدرًا معلمًا بزعمه فيرى بجهله أن عليه في ذلك عارًا وغضاضة وكان ذلك منه سببًا إلى ضلاله وضلال جماعته من الأُمة» (١) .

الثاني: قول الراغب الأصبهاني -رحمه الله تعالى-:

(لا شيء أوجب على السلطان من رعاية أحوال المتصدين للرياسة بالعلم، فمن الإخلال بها ينتشر الشر ويكثر الأشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر. . . -قال:- ولما ترشح قوم للزعامة في العلم بغير استحقاق وأحدثوا بجهلهم بدعًا استغنوا بها عامة واستجلبوا بها منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة بمشاركتهم لهم وقرب جوهرهم منهم، وفتحوا بذلك طرقًا منسدَّة ورفعوا به ستورًا مسبلة وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوها بالوقاحة وبما فيهم من الشره فبدَّعوا العلماء وجهلوهم اغتصابًا لسلطانهم ومنزعة لمكانهم فأغروا بهم أتباعهم حتى وطئوهم بأظلافهم وأخفافهم فتولد بذلك البوار والجور العام والعار) (٢) .

---

(١) «كتابه/ الإنصاف» (ص ١١٤) .

(٢) «نقلاً عن فيض القدير للمناوي» (٢/ ٢٧٤) .

فهذان النصَّان الجميلان أدعو أهل العلم وطلابه لتأملهما والنظر في معناهما وتأمل واقع المسلمين اليوم على ضوء ما شرحه هذان العالمان الكبيران.

هل حل بالناس ما حل من انحراف بعض الشباب في معتقده وظهور بوادر الفتن وتجرؤ الصغار على كبار الأئمة وعلماء الدعوة وخروجهم عن طريقتهم المستقاة من الكتاب والسُّنة والأثر مع معرفة تامة بمقاصد الشريعة ومواقع المصلحة إلا لاختلال الميزان الذي يوزن به العلماء وارتقاء من لا علم له إلى مصاف الكبار.

لقد صَدَق الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو صادق عندما قال: (إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سؤاله كثير معطوه، العمل فيه قائد للهوى، وسيأتي من بعدكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قائد للعمل، اعلموا أن حسن الهدي في آخر الزمان خير من بعض العمل) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

قال الحافظ في الفتح: وسنده صحيح، ومثله لا يقال من قِبَل الرأي.

قال ابن عبد البر في الاستذكار: هذا الحديث قد روي عن ابن مسعود من وجوه متصلة حسان متواترة.

ثم قال ابن عبد البر: «والعيان في هذا الزمان على صحة معنى هذا الحديث كالبرهان».

هذا زمانه -رحمه الله- فكيف بزماننا هذا؟! [1] .

---

(١) «نقلاً عن الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم» للدكتور/ عبد السلام بن برجس (ص ٨٣ - ٨٥).

إن المنهج السلفي في هذا الزمان يعاني في أرجاء الأرض من انتساب مَن لم يتأصَّل ويتربَّى على عقائد السلف، وذلك لأن أي خلل عند هؤلاء يمرر عند الناس على أنه المنهج الحق.

وهذا خطر عظيم.

ولكنني أستطيع أن أجزم بما أراه أن معاناة المنهج السلفي في مصر أخطر وأعظم منه في أي مكان آخر على وجه الأرض.

إن محنة السلفية في مصر محنة عظيمة حقًا.

مَن للسلفية في مصر؟؟؟

ألا ليت شِعري هل يعود للمنهج السلفي معالمه التي هدمتها -الجماعة البرهامية- أعني من تسموا زورًا وكذبًا بـ(سلفية الإسكندرية).

هل كان يظن أحد فيما مضى أن يأتي اليوم الذي يكون فيه من معتقدات السلفيين:

١- تكفير الحكام والخروج عليهم مع القول بالمرحلية، فالخروج عندما يكثر العدد وتتمايز الصفوف.

٢- تكفير قادة الجيوش والجنود؛ لأنهم يناصرون هؤلاء الحكام.

٣- تكفير مَن بنَى كنيسة أو حرسها وهو غير مُكرَه لأنه بهذا قد أعان الكفار على إظهار الكفر.

٤- تكفير مَن رضي بالتشريع المخالف لشرع الله بإطلاق دون تفصيل بين مَن رضي به اتباعًا لهواه فهذا لا يكفر، وبين مَن رضي به معتقدًا أن لغير الله حق التشريع.

٥- تقسيم محبة الكفار إلى قسمين: محبتهم لكفرهم، والقسم الثاني: محبتهم على رغم كفرهم، أي لا يحبهم من أجل الكفر مثل القسم الأول ولكن يحبهم برغم أنهم كفار، ثم يستثني من هذا القسم الثاني محبة الأقارب الكفار فقط، فلما استثنى هؤلاء فقط من التكفير بسبب محبة الكفار على رغم كفرهم عمَّم التكفير لغيرهم لأن «الاستثناء معيار العموم»، وعليه فمن أحب الرياضيين الكفار والمُغنِّيين والممثِّلين وغيرهم فهو كافر.

٦- استحلال دماء المسلمين بالثناء على القتال الذي وقع بين الحكومات الإسلامية والخارجين عليها كالجماعة الإسلامية والجهاد، ووصف من فعل ذلك بطلب الشهادة وبالغَيرة على دين الله والاهتمام بقضية الحكم بغير ما أنزل الله.

٧- سبّ كبار علماء الدين والأئمة السلفيين؛ كالشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ الألباني وغيرهم، بأبشع ما يسب به العلماء: أنهم غششة، مضلِّلون للأُمة - التبس عليهم الحق والباطل - انقلبت عندهم الموازين - علماء سُلطة مروجون للحكام - كذَّابون مزوِّرون لا يفقهون الواقع، إلى غير ذلك من قلة الأدب وعدم الاحترام؛ لأنهم لم يكفروا الحكام ولأنهم يعتقدون بطلان هذه الجماعات ويردون على الباطل الذي جاء به أدعياء السلفية.

إلى غير ذلك كثير مما تراه في هذا البحث مفصلاً بأدلته.

فهل كان الخوارج يطمعون في يوم من الأيام أن يسموا بالسلفية؟!!

وهل كان الخوارج يطمعون في يوم من الأيام أن تتبعهم هذه الأعداد الغفيرة وتفتح لهم هذه الأبواب الدعوية الكثيرة؟!!!

سُئل العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-: هل يلزم في الحكم على الخوارج بأنهم خوارج أن تنطبق عليهم جميع الصفات الواردة كأن يكون سيماهم التحليق وتحقرون صلاتكم أمام صلاتهم إلى غير ذلك من الصفات، فهل لا بد من اجتماعها جميعًا؟

الجواب: يكون من الخوارج مَن يعتقد عقيدتهم سواء اتصف بصفاتهم كلها أو بعضها، فإذا رأى تكفير أصحاب الكبائر وتخليدهم في النار فهذا مذهب الخوارج أو الخروج على إمام المسلمين هذا من الخوارج إذا استحل دماء المسلمين هذا من الخوارج، وإن جمع بين هذه الصفات فهو أشد) [١]

فإذا كان مَن يتسمون بسلفية الإسكندرية يحملون هذه العقائد التي هي عقائد الخوارج وينشرونها على أنها المنهج السلفي فأي مصيبة نعانيها هنا في مصر؟ وأي كارثة تتوقع أن تظهر في الأجيال القادمة؟!!

وهذا كله فضلاً عن البدع المتكاثرة التي بيَّنَّاها قبل ذلك في «فتح المنان» و«الإنصاف» ومنها قولهم:

١- معرفة الله أول واجب على العِباد وأصل الدين وركن التوحيد.

وقد حاول أتباعهم أن يفسِّروا معرفة الله هنا بأنها التوحيد، وهذا لا يستقيم معه الكلام الذي نقلناه أبدًا وعلى فرض أنه يستقيم فإن لبرهامي كلامًا آخر في المسألة لا يمكن تأويله أو تحريفه مثل قوله في «شرح المنة» (ص٢٢): (فمن لم يعرف ربه ويحبه لم يوحِّده، فلن يدخل جنة الآخرة) اهـ

فالمعرفة هنا لا يمكن أن تُحمل على التوحيد فأنَّى تؤفكون؟!!

وسنتناول هذه المسألة بصورة أوسع في موطنها، وهذا القول وهو أن معرفة الله أول الواجبات هو قول الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من أهل الكلام.

(١) الإجابات المهمة (ص٣٢٢).

٢- قولهم بمنع حوادث لا أول لها.

وهذا معناه عند أهل السُّنة: أن الله -عز وجل- كان معطلاً عن الفعل والكلام في الأزل حتى خلَق القلم، وهو قول الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من أهل الكلام.

٣- أسماء الله مشتقة، وليست توقيفية، كما هو قول الكرامية والمعتزلة، ونسبت هذا الكلام لعامة السلف .

٤- الأنبياء معصومون من صغائر الذنوب، مع تحريف الآيات الكثيرة الواردة في ذلك تحريفًا قال عنه شيخ الإسلام هو من جنس تحريف الباطنية موافقة للمعتزلة وغيرهم.

٥- طلب الدعاء والشفاعة من الغائب. ليس شركًا أكبرًا بل وسيلة من وسائل الشرك، مخالفين بذلك إجماع المسلمين.

٦- أصل الإيمان هو «لا إله إلا الله»، وأما «محمد رسول الله» بنص قول برهامي (فهو ليس شرطًا ابتداءً) مخالفين بذلك إجماع المسلمين.

٧- إخوة يوسف عليه السلام لولا عذرهم بجهلهم لكفروا كفرًا مُخرِجًا من الملَّة، مخالفين بذلك إجماع المسلمين.

٨- «ولاية الفقيه» .

النظرية الشيعية التي أصَّلها رأس الفتنة الخميني، مخالفين بذلك إجماع أهل السُّنة، موافقين الشيعة الإثنى عشرية الروافض.

٩- الدعوة إلى عدم السمع والطاعة للأئمة.

مخالفين بذلك إجماع السلف، موافقين الشيعة الإثنى عشرية الروافض.

١٠- مسألة الإمامة من مسائل الاعتقاد الكبرى.

مخالفين بذلك إجماع السلف، موافقين الشيعة الإثنى عشرية الروافض.

١١- الدعوة إلى التحذير من ولاة الأمور وسبِّهم وتقبيحهم.

مخالفين بذلك إجماع السلف، موافقين الخوارج القعدية.

وغير ذلك كثير جدًا في «فتح المنان» و«الإنصاف» فضلاً عما لم ينشر وهو أضعاف ما نُشر من ضلالهم وبدعهم وانحرافهم.

وكل هذا باسم المنهج السلفي.

واضيعتاه، واضيعتاه!!! أيصبح المنهج السلفي خليطًا من بدع الفِرق التي ظهرت في أُمة الإسلام؟!!

ألا ليت شِعري كيف يعتذر مَن يمدح سلفية الإسكندرية ويُثني عليهم يوم القيامة بين يدي ربه؟ وهو الذي ناصرهم على هذا الباطل باسم المنهج السلفي أيضًا؟!!

أليس في هذا الكلام نشر لباطلهم؟ أليس في هذا الكلام دفاعًا عن الخوارج الجدد؟!!

ولا أجد ما أقوله لأمثال هؤلاء إلا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

وهو كلام في غاية النفاسة والدقة إذ يقول عن موالاة المبتدعة والدفاع عنهم وبيان عقوبة الساكت على بدعهم والمخذل عن مواجهتهم:

(ويجب عقوبة كل مَن انتسب إليهم أو ذبَّ عنهم أو أثنى عليهم أو عظَّم كتبهم وعرف بمساعدتهم ومعاونتهم أو كره الكلام فيهم أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو؟ أو مَن قال إنه صنَّف هذا الكتاب؟

وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تجب عقوبة كل مَن عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان) (١) .

ومن هذا المنطلق أُناشد كل مسلم غيور على إسلامه، أُناشد كل مسلم غيور على السُّنة، أُناشد كل سلفي غيور على المنهج السلفي، أُناشد كل عالِم من علماء أهل السُّنة أن يقوموا بنُصرة الحق وأن يصدوا هذه الفتنة العظيمة عن شباب الإسلام، وأن يدركوا أرض الكنانة قبل أن تغطي شلالات الدماء وجه نيلها العظيم وتطير أشلاء أبنائها في كل مكان.

أدركوا أرض الكنانة يرحمكم الله فإن أفكار قادة هذه الجماعة وعقائدهم النظرية تؤكد أن المواجهة واقعة واقعة، وهي قريبة قريبة ولكن متى؟

الله أعلم.

أسأل الله عز وجل أن يرفع راية الحق وأن ينصر أهل الصدق وأن يخذل الخوارج شرار الخَلق وألا يرفع لهم راية، وأن يجعل العاقبة لأهل السُّنة أصحاب المنهج السلفي النقي، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أبو عبد الله/ أحمد بن زايد بن حمدان

المحلة الكبرى - الغربية - مصر

محمول/ ٠١٠٢٨٥٢٠٨٠

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٣) .

تمهيد

• • •

اعلم رحمك الله، أن فكرة هذا الكتاب تولَّدت عند كتابة الجزء الثاني من «فتح المنان» حيث وجدتُ باب الولاء والبراء في كتاب «شرح منَّة الرحمن» للدكتور ياسر ينشر فيه عقيدة الخوارج، فأجَلتُ النظر في بعض كتبهم الموجودة عندي فاكتملت الفكرة وظهرت لي بعض الحقائق التي لم تكن ظهرت من قبل، فظهر لي واتضح أن المسألة عندهم ليست قاصرة على تكفير الحكام -مع أن هذه المسألة تكفي في إثبات ضلالهم- ولكن مع التدقيق في كلام أئمة البرهامية -وأؤكد على كلمة التدقيق- وذلك لأن لهم أسلوبًا يعتمد على الإجمال والإشارة والتلبيس فيحتاج إلى تدقيق مع إرجاع النظر كرَّة بعد كَرَّة حتى يستبين للقارئ المراد.

أقول: مع التدقيق تبين لي أنهم خوارج بمعنى الكلمة، وأن انحرافهم وبدعهم أكثر مما كنتُ أتخيل، فعندها كتبتُ هذا الكتاب «**كشف الحقائق الخفية**» ولما كانت هذه الحقائق كثيرة قسَّمت الكتاب إلى جزأين.

وتناولت في هذا الجزء:

١- بيان مدى الخلط والتلبيس الذي وقع في عقائد الشباب الذي انتسب إليهم والذي عظمهم بسبب اشتهارهم باسم السلفية -وهم أبعد ما يكون عن السلفية- مع ذكر بعض الأسباب التي ينجو بها الإنسان إن تمسك بها وأعانه الله عليها.

٢- ثم شرعتُ في ذكر المسائل المنتقدة.

القسم الأول:

ما يتعلق بالتكفير بالذنوب، حيث ذكرتُ مجموعة من الذنوب والكبائر التي يكفِّرون بسببها ملايين المسلمين بغير وجه حق إحياءً لمنهج الخوارج في تكفير المسلمين، مع الرد المفصَّل لعلماء أهل السُّنة على هذه البدع التي أحدثوها وتوضيح المعنى الحق للأدلة التي استدلوا بها.

وتناولتُ في هذا القسم تكفيرهم للجنود واستحلال دمائهم، والثناء على قتال الجماعات الخارجة على الحكام لجنود النظام، مع ذكر أقوال ودرر أئمة السلف في التحذير من تكفير المسلمين وقتلهم، وبيان أنه لا يفعله إلا الخوارج.

القسم الثاني:

وذكرت فيه ما يتعلق بتكفير الحكام والخروج عليهم، وذكرتُ:

أولاً: خروجهم باللسان.

ثانيًا: خروجهم بنقض البيعة.

ثالثًا: متى يكون الخروج المسلَّح.

حيث بيَّنتُ فيه حكمهم على حكام المسلمين بأنهم كفَّار مرتدون محتلُّون للبلاد الإسلامية، وأن كفرهم عندهم أعظم من كفر اليهود والنصارى لأن الكافر المرتد أعظم كفرًا من الكافر الأصلي.

وبيان أنهم يعتقدون أنهم أخطر على الإسلام والمسلمين من جميع الكفار الأصليين، وأن حقيقة المعركة بين الكفر والإيمان هي في العمل على تحقيق شريعة الرحمن، وأنهم ينظرون إلى أصل المعركة التي كانت بين

النبي -صلى الله عليه وسلم- والكفار أنها كانت على تحكيم الشريعة، ولذلك فالمجتمع عندهم الآن أشبه ما يكون بالمجتمع الجاهلي الذي كان سائدًا قبل التمكين للمسلمين.

ولذلك فحقيقة الإسلام ليست في هذه الشعائر الظاهرة -وإن كانت إيمانًا- ولكن حقيقة الدين والإيمان تكمن في مواجهة هؤلاء الحكام الكفار حتى تتحطم هذه الأنظمة وتزول دولتهم، ومن لم يواجههم يضمحل عنده الإيمان.

وتناولتُ في هذا القسم بيان كونهم خوارج عند أهل العلم في فصل بعنوان «الجماعة البرهامية الخوارج الجُدد» .

القسم الثالث:

ذكرتُ ما يتعلق بردود الدكتور ياسر على أئمة الدين الذين خالفوا الجماعة البرهامية في هذه المسائل وسبِّه المقذع الشديد جدًا لكبار علماء الإسلام الشيخ الألباني والشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والفوزان واللحيدان وغيرهم، بأنهم غششة، ومُضلِّلون، مزوِّرون، كذَّابون، أتوا بخزعبلات، خذلهم الله فلم يهتدوا لما اهتدى إليه هو وجماعته، وأنهم علماء سُلطة مروِّجون للحكام، وهم السبب الحقيقي في بلاء الأمة، إلى غير ذلك مما تراه في موطنه.

وكل هذا من أجل أنهم لم يكفروا الحكام ورأوا أن البيعة تلزم المسلمين للحكام الموجودين الآن .

وذكرتُ ردود العلماء على هذا الهُراء والضلال الذي تكلم به برهامي.

وتكلمتُ في هذا القسم عن الطريقة السلفية في نصيحة الإمام.

ثم ختمتُ الجزء الأول من هذه الحقائق ببيان كيفية التعامل الصحيح مع هؤلاء الخوارج الجدد، والرد على مَن أثنى عليهم أو مدحهم أو حاول الدفاع عنهم.

وهنا أقولها صراحة: كل مَن حاول الدفاع عنهم أو الثناء عليهم بعد ظهور هذه الحقائق فهو إما مثلهم من الخوارج، وإما أنه من أجهل ما يكون بعقائد السلف والفِرق المخالفة لهم.

وفي كلتا الحالتين فهو بثنائه عليهم ضال مُضِل لشباب الأُمة يحدث بثنائه هذا ودفاعه عنهم فتنة عظيمة جدًا بين المسلمين.

أسأل الله أن أكون وُفِّقتُ في بيان حال هذه الجماعة البرهامية في هذا الجزء، وكشفتُ عن ضلالهم.

وأعتذر إلى القارئ إن وجد بعض القسوة في الرد، فمَن قرأ سبّ كبار العلماء علم أنني ما كتبتُ إلا أقل مما يستحقون، فالجزاء من جنس العمل.

وصدق ابن عساكر -رحمه الله- حيث قال: (إنما نحترمك ما احترمتَ العلماء).

وقد حان وقت الشروع في المقصود، فإليك البيان.

والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❑ ● ❑

(١)

كيف تنجو من الفتنة العظيمة

التي أحدثتها الجماعة البرهامية

من خلط الحق بالباطل، والباطل بالحق باسم السلفية

سبيل النجاة في زمان الفتن

• • •

لقد جاءت الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بانتشار الفتن والبدع قُرب قيام الساعة وظهور بعض مَن يتكلمون بالدِّين وفي الدِّين وباسم الدِّين وهم من أبعد ما يكون عن الدِّين الحق والمنهج النقي وما كان عليه السلف رضي الله عنهم.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة).

قال العلامة حمود التويجري -رحمه الله-:

(رواه عبد الرزاق وأبو داود وابن وضاح، والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه، وقد رواه الدارمي في مسنده بنحوه، وهذا الأثر له حكم المرفوع لأنه لا دخل للرأي في مثل هذا وإنما يُقال عن توقيف) [1] .

وأعتقد أن هذا الحديث أكثر ما ينطبق على دُعاة سلفية الإسكندرية لكثرة ما ابتدعوه باسم المنهج السلفي كما سنبين الآن:

فابتدعوا بدعًا خطيرة عظيمة واتبعهم الناس عليها فأنشؤوا الجماعة السلفية -أعني البرهامية- منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا فهرم في هذه البدع

---

(١) إتحاف الجماعة (٢/ ١٠٧).

الكبير، وتربى عليها الصغير، واتخذها الناس سُنة، وهي من أخطر ما يكون هلاكًا فانقلبت الموازين عند الناس، وصارت السُّنة بدعة والبدعة سُنة، والحق باطلاً والباطل حقًا.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سُنة إذا ترك منها شيء قيل: تركت السنة. قالوا: ومتى ذاك؟ قال: إذا ذهبت علماؤكم وكثرت قراؤكم وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم وقلَّت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدِّين) (١) .

وعند ابن أبي شيبة بزيادة ولفظه: «. . . قيل: يا أبا عبد الرحمن، ومتى ذاك؟ قال: إذا كثرت جهالكم وقلَّت علماؤكم، وكثرت خطباؤكم وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم وقلَّت أمناؤكم، وتفقه لغير الدِّين».

وهذه كما ترى فتنة عظيمة خطيرة ولا نجاة منها إلا بالاعتصام بالله والأخذ بالأسباب الشرعية التي تحول بين العبد وبين الوقوع في هذه الفتن، ومن أهمها الرجوع لأهل العلم الكبار أو إلى فتاويهم في هذه الملمات الخطيرة، فهم الذين أقامهم الله نورًا للعباد في وسط الظلام.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-:

(إن الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشُبه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكًا لأنه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشُبهات بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم. . .) (٢) .

---

(١) أخرجه الحاكم، وقال الذهبي: هو على شرط البخاري ومسلم. وقال الألباني في «قيام رمضان» (ص٤): وهو مرفوع إلى النبي ﷺ حُكمًا.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٩٢).

وإذا كان المسلم مطالبًا بالبحث عن الحق دائمًا فـأعتقد أن الاجتهاد في البـحث عن الحق في مـثل هذا الزمان ينبـغي أن يكون أشـد وأعظم وذلك لخطورة الفتنة المـوجودة بسبب انقلاب الحـقائق عند كثيـر من الناس بسبب هذه النابتة التي ظهرت منذ عدة عقود تتسربل بسربال السلفية وهي من أخطر ما يكون على المنهج السلفي وعلى عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

وذلك لكثرة البدع التي نشرتها وخطورة البدع التي أظهرتها باسم المنهج السلفي .

❑ ● ❑

صور من انقلاب الحقائق

١- عقيدة الخوارج

• • •

فأعتقد أنه ليس من الفتنة أن يخرج علينا أحد الخوارج فيكفر الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله ثم يتبع ذلك بتكفير قيادات الجيش والشرطة وتكفير الجنود الذين يتجندون في جيوش هذا الحاكم لأنهم ينصرونه على الحكم بغير ما أنزل الله وذلك لأن الناس يعرفون أنه من الخوارج فلا يأخذون هذا الباطل الذي ينشره بينهم.

وإنما تكون الفتنة العظيمة إذا خرج علينا من يدَّعي السلفية وهو يعتقد عقيدة الخوارج فيقول بكفر الحاكم والجنود وربما وصل عددهم إلى عشرات الملايين في الدول الإسلامية باسم الدعوة السلفية والمنهج السلفي لأن الحاكم يحكم بغير القرآن، والجنود ينصرونه، فكفروا لولاء النصرة، ويُدرَّس هذا منذ عدة عقود على أنه المنهج السلفي «فهرم فيها الكبير، وربي عليها الصغير، واتخذها أتباعهم سُنة وحقًا» .

قال الدكتور ياسر برهامي في «شرح منة الرحمن» (ص٢٠٢):

(وهذا أمر عظيم الخطر وقد يتهاون كثير من الناس في مثل هذه المسائل وقد يتجند للكفار وقد يتجند لمن يعلم كفرهم وحربهم للإسلام فمثل هذا إذا مات في مثل هذه الحالة مات على غير ملَّة الإسلام) اهـ.

❑ • ❑

٢- الشيعة الإثنى عشرية

• • •

وكذلك ليس من الفتنة أن يخرج علينا أحد دُعاة الشيعة الإثنى عشرية فيقول بنظرية ولاية الفقيه -أي إنه لا يوجد حاكم شرعي لبلاد الإسلام فينبغي أن يولي المسلمون أمرهم للفقهاء وهذه النظرية التي أصلها لهم رأس الفتنة الخميني، وذلك لأن الناس يعرفون أنه من الشيعة فلا يأخذون منه هذا الباطل الذي ينشره بينهم.

وإنما تكون الفتنة العظيمة إذا خرج علينا من يدعي السلفية، فينشر بين الناس هذا الكلام باسم الدعوة السلفية والمنهج السلفي؛ بدعوى أن الحكام الموجودين ليسوا وُلاة شرعيين ولا بيعة لهم.

ويدرس هذا الباطل منذ عدة عقود على أنه المنهج السلفي «فيهرم فيها الكبير ويربو عليها الصغير ويتخذها أتباعهم سُنة وحقًا».

قال الدكتور ياسر برهامي في «فقه الخلاف» (ص ٥٦):

(والعلاج الذي نراه لهذا السبب من أسباب الخلاف -أي عدم وجود الإمام الشرعي- جمع الناس حول علمائهم فهم في الحقيقة أولوا الأمر منهم... فإن واجب المسلمين حال غياب الإمام أن يكون العلماء هم ولاة الأمور) اهـ.

❑ ● ❑

٣- الثناء على خروج الجماعة الإسلامية وقتل الجنود

• • •

وكذلك ليس من الفتنة أن يخرج علينا أحد قادة الجماعة الإسلامية فيثني على قتالهم للحكومة المصرية بأنه جهاد في سبيل الله وبأنهم إنما جاهدوا من أجل تحكيم الشريعة وغيرة على حُرمات الله -عز وجل-، وذلك لأن الناس يعرفون أنه من هذه الجماعة الباطلة فلا يقبلون منه هذا الباطل الذي ينشره بينهم.

وإنما تكون الفتنة العظيمة إذا خرج علينا من يدعي السلفية فينشر هذا الكلام بين الناس باسم الدعوة السلفية والمنهج السلفي.

وإنما ينكر عليهم استعجالهم وقتالهم قبل تمييز الصفوف.

ويدرس هذا الكلام منذ عدة عقود على أنه المنهج السلفي «فيهرم فيها الكبير ويربى عليها الصغير، ويتخذها أتباعهم سُنة وحقًا».

قال الدكتور سعيد عبد العظيم في «تحصيل الزاد» (ص٢٢٩):

(ولا ننسى أن نثبت الحق لأهله والفضل لأصحابه، وجزاهم الله خيرًا على إيقاظ روح الجهاد في الأُمة والغيرة على حُرمات الله تعالى، وعلى استعدادهم للبذل والتضحية، والرغبة في الشهادة في سبيل الله، وجزاهم الله خيرًا مرة ثانية على اهتمامهم بقضية الحكم بغير ما أنزل الله وتركيزهم عليها).

❑ • ❑

٤- قول جماعة التكفير:
(مجتمعنا اليوم كحال المجتمع الجاهلي)

• • •

وكذلك ليس من الفتنة أن يخرج علينا أحد دُعاة جماعات التكفير فيقول:

(إن المسلمين اليوم لا يستطيعون إقامة الدِّين في بلادهم فهم أشبه ما يكونون بحال أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل التمكين) .

فلا ينبغي على الطائفة المؤمنة التي آمنت بربها في وسط هذا المجتمع أن تتعجل في مواجهة الكفار قبل إعداد الرجال حتى يمكَّن لها -أي في بلادنا- .

وذلك لأن الناس يعرفون أنه من الجماعة التكفيريين فلا يقبلون منه هذا الباطل الذي ينشره بينهم.

وإنما تكون الفتنة العظيمة إذا خرج علينا من يدعي السلفية فينشر هذا الكلام بين الناس باسم الدعوة السلفية والمنهج السلفي «فيهرم فيها الكبير ويربى عليها الصغير، ويتخذها الناس سُنة وحقًا» .

قال أحمد بن أبي العينين في «النصيحة ببيان طرق الجهاد غير الصحيحة» (ص٣١٧):

(وما أشبه حال المسلمين اليوم بحال أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل التمكين، فهم لا يستطيعون إقامة الدِّين في بلادهم فكيف يغزون غيرهم في بلادهم).

وقال (ص ٣٠٩):

(ففي كل زمان وجدت فيه الطائفة المؤمنة وجد بينهم جماعة من المتحمسين والمتعجلين للنصر والتمكين قبل إعداد الرجال الذين يستحقون أن يقام الدِّين على أكتافهم ويستحقون نصر الله، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

وهؤلاء المتحمسون المتعجِّلون يستعجلون في مواجهة الأعداء قبل أن يربوا أنفسهم على طاعة الله والصبر، فسرعان ما يتراجع الكثير منهم) اهـ.

❑ ● ❑

٥- سب العلماء الثقات لنهيهم عن الجماعات

• • •

وكذلك ليس من الفتنة أن يخرج علينا أحد المبتدعين الضالين الخارجين عن جماعة المسلمين فينشئ جماعة تدعو إلى تكفير الحكَّام وتعد الرجال للخروج عليهم، ويسب العلماء الذين ينهون عن الجماعات ويبينون أنها من الفرق التي فرَّقت الأُمة، ويحذرون الشباب من الانتماء إليها بأن هؤلاء العلماء لا يفقهون الواقع ولا يملكون الرؤية الصحيحة لمستقبل العمل الإسلامي أو أنهم كذابون ومزورون لما حملوا حديث الدعاة على أبواب جهنم على هذه الجماعات وخصوصًا ذات التوجهات التكفيرية .

وذلك لأن الناس يعلمون أنه مبتدع ضال فلا يقبلون قوله في سب العلماء وخصوصًا إذا كانوا كبار علماء الأُمة الذين لهم المرجع في الفتوى على مستوى العالم.

وإنما الفتنة العظيمة إذا خرج علينا من يدعي السلفية فينشر هذا الكلام بين الناس باسم الدعوة السلفية والمنهج السلفي ويدرس هذا الكلام للناس منذ عدة عقود على أنه المنهج السلفي «فيهرم فيها الكبير، ويربى عليها الصغير، ويتخذها أتباعهم سُنة وحقًا» .

يقول الدكتور ياسر برهامي في كتابه «في مواجهة الفتن» (ص ٢٧ - ٢٩):

(ما أكثر من يجهل هذا الحديث مع كونه من أخطر ما يكون وفهمه من أعظم ما نحتاج إليه لأننا بالفعل في زمن الدعاة على أبواب جهنم. . . فليس

المقصود بلا شك من اعتزال الفرق اعتزال أهل الإسلام أو عدم التعاون على البر والتقوى كما يزعم البعض كذبًا وزورًا أن هذا هو معنى الحديث).

وقال في «فقه الخلاف» (ص٩٣):

(وأراح البعض نفسه بأن أقنع نفسه وغيره بإنكار التجمع مطلقًا معللاً ذلك بالعيوب الناشئة عن الجماعات والعصبية الممقوتة التي تظهر في أتباعها وآثر العمل الفردي .

وظهرت التجمعات حول أشخاص الدعاة دون وجود أي نظام للعمل على استكمال العمل الإسلامي والقيام بفروض الكفايات إلا نظام الشيخ والتلميذ وما قد يقتنع به البعض من أعمال الخير .

ولا يخفى أن هذه النظرة تفقد النظرة الصحيحة لمستقبل العمل الإسلامي ولا تحدد خطوات محددة لتطور العمل والقيام بفروض الكفايات الضائعة.

كما أن هذه التجمعات إن قويت فهي جماعة دون مسمى أو أن مسماها هو اللاجماعة، أو هو اسم قائدها ومعلمها وآراؤه وليس منهجًا متكاملاً قابلاً للاستمرار والبقاء بعد غياب القائد بموت أو عجز أو غيره).

وينصح هؤلاء العلماء الكبار بالاندماج في الجماعة وترك حظوظ أنفسهم التي كانت سببًا في هذا البلاء وهذه المحن .

يعني أن هؤلاء العلماء الكبار مراؤون، قلوبهم فاسدة مليئة بحُب الدنيا وطلب الوجاهة، ولن ينتصر الإسلام حتى يتوبوا إلى الله ويدخلوا في الجماعة البرهامية، وإلى الله المشتكى.

فيقول في «آلام المسلمين» (ص٢٩):

(لا بد أن يكون هناك منهج واحد صحيح... نجتمع عليه ونتآلف ونتكاتف وننسى حظوظ أنفسنا وما نريده لها في هذه الدنيا من وجاهة وسط الناس ومن أن يُقال فلان عالم وفلان قارئ وفلان داعية وفلان كبير وفلان عظيم فلننس ذلك لأنه السبب في هذا البلاء وهذه المحن).

رحماك ربَّاه، رحماك ربَّاه.

وامصيبتاه!!! واضيعتاه!!!

مَن لأهل العلم منك ومن أعوانك يا ابن برهامي؟

قال الإمام الطرطوشي -رحمه الله- في حديث قبض العلم:

(فتدبروا هذا الحديث، فإنه يدل على أنه لا يُؤتَى الناس قط من قِبَل علمائهم وإنما يؤتَون من قِبَل أنه إذا مات علماؤهم أفتى مَن ليس بعالِم فيؤتَى الناس من قِبَله.

قال: وقد صرف عمر رضي الله عنه هذا المعنى تصريفًا فقال: «ما خان أمينٌ قط، وإنما ائتُمِن غيرُ أمينٍ فخَان» .

قال: ونحن نقول: «ما ابتدع عالم قط، ولكن استُفْتِي مَن ليس بعالِم فَضَلَّ وأضلَّ».

وكذلك فَعَل ربيعة.

قال مالك: بكى ربيعة يومًا بكاءً شديدًا. فقيل له: أمصيبة نزلت بك؟ فقال: لا! ولكن استُفْتِي مَن لا عِلم عنده وظهر في الإسلام أمرٌ عظيم) [1] .

---

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص ١٧٩) .

٦- الدعوة
إلى عقيدة الصوفية الغلاة

• • •

ليست الفتنة في أن يخرج علينا رجل صوفي من غلاة الصوفية يريد أن ينشر مصطلحات القوم وأحوالهم المخالفة للسُّنة والسلف فيكذب على الناس ويقول مقام «جمع الجمع» من المقامات الثابتة في الشريعة والتي قال بها أئمة السلف.

وأعني بمقام «جمع الجمع» ما ذكره الملا علي القاري في كتاب «إبطال القول بوحدة الوجود» وذلك بعد أن ذكر عدة أقوال لأئمة الصوفية.

فقال (ص١٠٨) تحقيق أحمد بن أبي العينين:

(وما ذاك إلا لوصولهم إلى مقام الفناء وحصولهم في مرام البقاء ووقوعهم في حال السكر والمحو وغيبتهم عن نفس الشرب وغفلتهم عن حال الصحو لكن هذه الحالة لحظة بعد لحظة ولمحة بعد لمحة كالبرق الخاطف وطرفة العين وربما يبقى في هذا المقام بعضهم بقوة الجذبة فإن حفظ في تلك الحالة عن المعصية بالفعل أو المقال فهو من المجذوبين المحبوبين، وإلا فيسمى المجذوب الأبتر وهو مقام ناقص وحال عاطل كنبسة المجنون إلى عالم عاقل.

وأما الكمال من الأنبياء والأولياء فهُم في مقام «جمع الجمع» لا يحجبهم وجود كثرة الموجودات، ولا يحجزهم شهود عين الذات عن مطالعة حقائق الممكنات) اهـ.

أقول: ليست الفتنة في أن يقول أحد غلاة الصوفية إن مقام «جمع الجمع» ووصول العبد إلى السكر والمحو فيرى عند ذلك عين الذات -أي يرى ذات الله-، فيكون عند ذلك من المجذوبين المحبوبين هو مقام قال به أئمة السلف لأن الناس سيعلمون كذبه ولا يحملون باطله وضلاله الذي يريد أن ينشره بينهم، وقد بينت هذا في كتاب «فتح العلي الودود» .

ولكن الفتنة العظيمة إذا خرج علينا من يدعي السلفية فينشر هذا الكلام بين الناس باسم الدعوة السلفية والمنهج السلفي ويقدح فيّ ويتهمني بالكذب والظلم والزور والجهل والاعتداء على أهل العلم، لأنني قلت هذا ليس من السلفية بل من الصوفية.

ولا يكتفي بهذا الاعتداء بل يقول: إن هذا المقام الذي أنكرته وهو مقام «جمع الجمع» يقول به أئمة السلف؛ كابن تيمية وابن القيم، ويدرس هذا الباطل «ويهرم فيه الكبير ويربى عليه الصغير ويعتقد أتباعهم أنه الحق» .

قال أحمد بن أبي العينين في كتاب «التحقيق» (ص ٣٥) :

(تحت عنوان: إنكاره -أي أنا- الأقوال الصحيحة في العقيدة وتقريره ضدها إما بالكذب وإما بالجهل:

١- طعنه في العلامة القاري بأنه من غلاة الصوفية بالزور والباطل.

ثم قال (ص٣٩) :

(فخلاصة ما يرمي إليه الأئمة -رحمهم الله- الأنصاري، وابن تيمية، وابن القيم، ما جلاه شيخ الإسلام ابن تيمية من حقيقة العبودية شهود الخلائق وقيامهم والانجماع على الخالق، فشهودهم مع تفرقهم وهم كثير مع عدم الاعتداد تفرقة، والانجماع على الخالق وحده دون ما سواه جمع.

فهذا نص كلام العلامة القاري -رحمه الله- ونفس المشرَب، فالاعتراض عليه اعتراض عليهم أيضًا، ولماذا الاعتراض أصلاً ربما كان لحداثة الاصطلاحات وهذا حق، لكن هل صاحبنا منه في شيء؟).

وإلى الله المشتكى من هذه الفتنة ينكر عليّ ويشدد ويقدح لأنني أنكرت هذا الباطل لأن سلفيته تملي عليه أنه حق.

فكيف بحال الأتباع؟!!

وصدَق القائل:

تصَدَّر للتدريس كل مهوِّسٍ جهُول تسمَّى بالفقه المُدرِّس

فحُق لأهلِ العلم أن يتمثَّلوا ببيتٍ قديمٍ شاعَ في كل مجلسِ

لقد هزُلت حتى بَدَا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مُفْلِسِ

قال الإمام أبو شامة -رحمه الله-:

(وأكثر ما أتى الناس من البدع بهذا السبب، يظن في شخص أنه من أهل العلم والتقوى وليس هو في نفس الأمر كذلك فيرمقون أقواله وأفعاله فيتبعونه في ذلك فتفسد أمورهم، ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن مما أتخوف على أُمتي: الأئمة المُضلِّين» أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال: هذا حديث صحيح) [1] .

❑ ● ❑

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» (ص ١٧٥) .

٧- السلفية الجديدة
(سلفي - صوفي - ماتريدي)

• • •

وكذلك ليست الفتنة أن يحقق أحد رجال الماتريدية الصوفية -كتاب إبطال القول بوحدة الوجود للملا علي القاري -رحمه الله- فيقول في ترجمته: لقد كانت أصول القاري سلفية؛ لأن الناس يعرفون عقيدته فلن يقبلوا منه ما قاله؛ لأن كل مَن قرأ الكتاب يدرك أن أصول القاري ماتريدية صوفية.

ولكن الفتنة العظيمة أن يخرج علينا من يدَّعي السلفية فيحقق هذا الكتاب ويقول في مقدمة الكتاب بعدما انتهى من تحقيقه وأدرك كل ما فيه من عقائد، بمعنى أن ما التبس عليه في موضع فلن يلتبس عليه في غيره -وقرأ غيره من كتب القاري العقدية كشرح الفقه الأكبر ونقل منه-.

فيقول:

«لقد كانت أصول القاري سلفية.... ومع سلفية أصوله فقد أخطأ في مسائل من الاعتقاد حيث تبع الأشعرية» (ص ٢٠).

فألَّفتُ في نقد هذا كتاب «فتح العلي الودود» أثبت فيه بما لا يدع مجالاً للشك أن القاري من الماتريدية المفوضة والصوفية الغلاة.

وكيف لا وهو القائل في كتابه الذي حققه ابن أبي العينين (ص١٠٨ - ١٠٩):

(ومَن عميت بصيرته ما فرق بين العين والغين المشالة بزيادة النقطة الحادثة إلى الأغيار وبالتجرد عن هذه النقطة الدال للأبرار على أن ليس في

الدار غيره ديار والمظهر لأهل الشهود معنى قولهم سوى الله والله ما في الوجود، والمومي في قول البسطامي الذي كان مستغرقًا في بحر الشهود ونهر الوجود ليس في جبتي سوى الله، وما ذاك إلا لوصولهم إلى مقام الفناء وحصولهم في مرام البقاء ووقوعهم في حال السكر والمحو وغفلتهم عن نفس الشرب وغفلتهم عن حال الصحو.....

وأما الكمال من الأنبياء والأولياء فهم في مقام «جمع الجمع» لا يحجبهم وجود كثرة الموجودات ولا يحجزهم شهود عين الذات عن مطالعة حقائق الممكنات فيرون الأشياء كما هي...

وفي هذا المقام قال بعض المشايخ الكرام: أستغفر الله مما سوى الله.

وقال ابن الفارض شعرًا:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوًا حكمت بردَّتي

وشرح هذا المعنى يطول) اهـ.

وقد قرأ ابن أبي العينين هذا جيدًا وعلَّق عليه، ومن تعليقه قال:

(٢) ديار معناه: ساكن.

(٥) في «ع»: وقال العارف ابن الفارض، اهـ.

والكتاب مليء بمثل هذا الكلام الصوفي، عفوًا السلفي، عند ابن أبي العينين؟؟!!!

وقال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص٧٠):

(نقل إمام الحرمين إجماع السلف على منع التأويل كما بيَّن ذلك في الرسالة النظامية، وهو موافق لما عليه أصحابنا الماتريدية).

وليس معنى الكلام أن الماتريدية كانوا يمنعون التأويل ليثبتوا الصفات بل كما هو معلوم لكل من درس عقيدتهم أنهم انقسموا إلى «مؤولة - مفوضة» والملا علي القاري كان من الماتريدية المفوضة ويرى أن التفويض هو عقيدة السلف.

قال في «ضوء المعالي» (ص٥٩): (فإن قيل: ما الفائدة حينئذ في نزول المتشابهات؟ أجيب: بأن فائدته إظهار عجز الخلق وقصور فهمهم عن كلام ربهم وتعبدهم بإيمانهم فيقول الراسخون في العلم منهم آمنا به كل من عند ربنا، فالتفويض إلى الله والاعتقاد بحقيقته مرادًا لله من غير أن يعرف مراده من كمال العبودية في العبد، ولهذا اختاره السلف) اهـ.

قال أبو محمد أرزقي بن محمد سعيداني في كتاب «النفي في صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة» (ص٦٧٦):

(وبناء عليه كان للماتريدية مع نصوص الصفات مسلكان:

١- التفويض. ٢- التأويل.

ولا يوجد اختلاف بينهم في وجوب سلوك أحد هذين المسلكين وإنما اختلفوا في أيهما أرجح؟ فمنهم من رجَّح التأويل مع عدم الجزم بالمعنى الذي صرف إليه اللفظ، ومنهم من رجَّح التفويض كأبي القاسم الحكيم السمرقندي والناصري وملا علي القاري) اهـ.

وكتاب «إبطال القول بوحدة الوجود» مليء بتقرير هذه العقيدة.

فلما نزل الكتاب «فتح العلي الودود»، ردَّ عليه ابن أبي العينين ليثبت صحة سلفية أصول القاري في كتاب سمَّاه «التحقيق» ملأه بالقدح الشديد جدًا لأنني قلت إن القاري صوفي ماتريدي ليس سلفيًا.

فأنا عنده من أجل ذلك «أقتطع الكلام -أكتم الحق- كذاب -ظالم - مفتر - معتدٍ على العلماء السلفيين -جاهل مزور، إلى غير ذلك من التهم التي أحبَك صنعتها وتلبيسها وتحريفها حتى دخلت على كثير جدًا ممن قرأ كتاب «التحقيق» ولم يتضلع في دراسة علم العقيدة فصدَّق كل ما قاله ابن أبي العينين، وأصبح القاري رغمًا عنه سلفي العقيدة.

مع أن من وضع أمامه كتاب إبطال القول بوحدة الوجود - وفتح العلي الودود - والتحقيق - وأعطاه الله قدرًا من فهم كلام المحرفين الذين يتلاعبون بالألفاظ والحقائق لتبين له أن كل ما اتهمني به في الكتاب هو صفته -كما سأبيِّن ذلك في ملحق هذا الكتاب-، ولكن من سيفعل هذا الكلام؟

فصدق أكثر الناس ما قاله ابن أبي العينين، وعندها أصبح ابن زايد مبتدعًا ضالاً - كذابًا - إلى آخره، وأصبح القاري إمامًا سلفيًا ما أخطأ في شيء من المسائل التي انتقدتها عليه .

وعلى ذلك خرج الجهلة من طلاب ابن أبي العينين فصعد بعضهم المنبر في بلادنا يقول أمام الجموع الحاضرة يوم الجمعة: شيخنا الإمام العلاَّمة السلفي الملا علي القاري ذو التصانيف السلفية النافعة.

وحقَّق بعضهم شرح الملا علي القاري لمنظومة «بدء الأمالي» لعلي بن عثمان الأوشي، وهي أشهر منظومة في العقيدة الماتريدية، وهو الشرح الذي طبعته دار ابن عباس التي يشرف على إخراج الكتب فيها ابن أبي العينين كما بيَّنته في «سبيل الرشاد» وهو الشرح المسمى «ضوء المعالي لبدء الأمالي» فكتب على الكتاب:

فصار الحق باطلاً، والباطل حقًا، والسنة بدعة، والبدعة سُنة، وعلى هذا تخرج الأجيال فيهرم فيها الكبير ويربى عليها الصغير.

فائدة: لا تستبعد بعد عدة عقود وارتفاع العلم أن يخرج علينا من طلابه ممن يزعمون أنهم سلفية مَن يقول: إن الشكوى لصاحب القبر ليشفع لك عند الله عند زيارة قبور الأولياء فيها قولان للسلف:

القول الأول: أن هذا لا يجوز، بل هو من الشرك الأكبر.

الثاني: يجوز بل يستحب، وهو قول الإمام السلفي الكبير الملا علي القاري، حيث قال في شرحه للحصن الحصين:

(فائدة عظيمة: يستحب فعلها عند قبور الأنبياء والأولياء والعلماء ومن دونهم فقال: إذا زرت قبر نبي أو ولي أو عالم أو من دونهم -مثلاً- وكنت في كرب عظيم وأردت أن صاحب ذلك القبر تحضر روحه إليك وتشكو إليه ظلامتك أي بلسان حالك أو قالك ليشفع فيك عند المليك فيكفيك ما أهمك، ومن دائك يشفيك، فاقرأ «قل هو الله أحد» عشر مرات وإن قدمت قلب القرآن أعني «يس» كان أجود وأسرع، والمعوذتين ثلاثًا ثلاثًا، وفاتحة الكتاب والأسماء الحسنى بعد البقرة أو آخرها، وتغمض عينيك وتستحضر جميع قلبك ثم تقول: «لا إله إلا الله» ثلاثًا «الله» ثلاثًا بالمد. ثم تسكت سكتة لطيفة وتقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سيدي فلان، أو يا شيخ، أو يا أستاذي، أو يا رسول الله، أي وتعرض على المزار ما أصابك

من أكدار يجليها بمنِّه الستار، بشفاعة صاحب المزار، وهذه فائدة من أكبر الفوائد). نقل هذا النبهاني في «شواهد الحق» (ص٤٤٥) ونقلها الدكتور المرابط الشنقيطي في كتابه «الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم» (ص٥١٢).

فإذا قال له أحد السلفيين الحقيقيين: يا أخي هذا كلام الصوفية الغلاة.

قال له هذا الطالب الذي بدلت عنده الموازين: اتق الله واحذر أن تتهم العلامة السلفي الكبير بالغلو في التصوف حتى لا تعرض نفسك لألسنتنا الحداد، فقد حاول هذا قبلك أحمد بن زايد بالكذب والبهتان، فتصدى له شيخنا العلامة إمام السلفيين أحمد بن أبي العينين في كتابه العظيم «التحقيق».

فقال (ص٣٥) تحت عنوان: (إنكاره الأقوال الصحيحة في العقيدة وتقريره ضدها إما بالكذب وإما بالجهل:

١- طعنه في العلامة القاري بأنه من غلاة الصوفية بالزور والباطل.

٢- قال (ص٤٠) طعنه في العلامة القاري بوصفه زوراً باعتقاد الفناء البدعي.

٣- قال (ص٧٤): إعادة طعنه في العلامة القاري بالغلو في التصوف ظلمًا وزوراً وكتمانه ما بينته في ذلك.

٤- قال (ص٧٩): طعنه في العلامة القاري -رحمه الله- طعنًا فاحشًا بوصفه بالتجهم والغلو في الصوفية.

هذه هي العناوين، فما بالك بما تحتها؟!! وعند ذلك ينتشر الشرك الأكبر باسم السلفية، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٨- سب كبار العلماء
لعدم تكفير الحكام

• • •

وكذلك ليست الفتنة في أن يخرج علينا مبتدع ضال منحرف معروف عند الناس بذلك فيقول: إن العلامة الألباني وابن باز وابن عثيمين والفوزان ومقبل بن هادي والعبَّاد واللحيدان وغيرهم من أئمة الهُدى ومصابيح الدجى الذين أحيى الله بهم دينه وأعلى بهم راية الحق وكبت بهم أهل البدعة والباطل كل هؤلاء يقول عنهم إنهم كذَّابون مُضلِّون غشاشون مُضِلُّون للأمة خذلهم الله فلم يستطيعوا التمييز بين الحق والباطل فأتوا بخزعبلات عظيمة لأنهم لم يكفروا الحكَّام ويرون لهم البيعة في أعناق المسلمين أقول ليس في كلام هذا المعروف ببدعته وضلاله فتنة لأن الناس لن يقبلوا هذا الباطل الذي ينشره بينهم، وإنما تكون الفتنة العظيمة إذا خرج علينا من يدَّعي السلفية فينشر هذا الباطل بين الناس باسم الدعوة السلفية والمنهج السلفي، ويدرس هذا الكلام منذ عدة عقود على أنه المنهج السلفي «فيهرم فيها الكبير ويربى عليها الصغير ويتخذها كما هي أتباعهم سُنة وحقًا».

قال الدكتور ياسر برهامي في «قطوف على طريق الدعوة» (ص١٠٢):

(فيا للعجب من خزعبلات عصور الانحطاط تظهر في زمان الصحوة، ووالله لولا الخذلان لما تكلم بمثل ذلك أحد.

ومن مظاهر الخذلان كذلك انعدام التمييز بين الأولياء والأعداء إلى درجة أن يصبح الدعاة على أبواب جهنم أولياء اليهود من العلمانيين

والبهائيين هم مَن زينت لهم البيعة في أعناق المسلمين وأن من خالفهم فهو من الخوارج طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه) اهـ.

ويقول في نفس المصدر (ص٥٥):

(تعجبت كيف انقلبت الموازين لدى الكثيرين إلى الحد الذي صار البعض يفتي فيه بأن أعداءنا المحتلين وأبناءهم وعبيدهم من ولاة الأمور الذين يلزم المسلمين في البلاد المحتلة طاعتهم وتحريم الخروج عليهم ولو باللسان -كما زعموا كاذبين-).

وهذا قليل من كثير ونقطة من بحر، في بدع أخرى كثيرة وأخطاء أخرى عديدة نشرت باسم المنهج السلفي، ذكرت جزءًا منها في «فتح المنان» و«الإنصاف» و«فتح العلي الودود» و«سبيل الرشاد».

أقول: في مثل هذا الجو الملبد بسحب التدليس والتلبيس والتحريف للحق وانقلاب الموازين، يصبح طالب الحق في حيرة شديدة من أمره لا يدري أين يتجه ولا الوجهة التي يقصد .

وصدق الفضيل بن عياض -رحمه الله- حيث قال فيما رواه ابن بطة في «الإبانة» عن حال طالب الحق وحيرته في مثل هذا الزمان:

(كيف بك إذا بقيتَ إلى زمان شاهدت فيه ناسًا لا يفرقون بين الحق والباطل، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين الأمين والخائن، ولا بين ولا بين الجاهل والعالم، ولا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا).

وإن كان الأمر بهذه الصورة الخطيرة فإني أنصحك أيها المسترشد بعدة نصائح فإن الدِّين النصيحة كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم.

النصائح السلفية للبعد عن الأهواء الردية

١- السعي للوصول للحق

• • •

أولاً: أن تدرك أهمية ما تسعى للوصول إليه -إنه الحق-:

قال العلامة ابن الوزير -رحمه الله-:

(فإن الحق في مثل هذه الأعصار قلما يعرفه إلا واحد بعد واحد وإذا عظم المطلوب قل المساعد فإن البدع قد كثرت وكثر الدعاة إليها والتعويل عليها وطالب الحق اليوم شبيه بطلابه في أيام الفترة وهم سلمان الفارسي وزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابهما رحمهم الله تعالى، فإنهم قدوة لطالب الحق وفيهم له أعظم أسوة فإنهم لما حرصوا على الحق وبذلوا الجهد في طلبه بلغهم الله إليه وأوقفهم عليه وفازوا من بين العوالم الجمة فكم أدرك الحق طالبه في زمن الفترة وكم عمي عنه المطلوب له في زمن النبوة فاعتبر بذلك واقتد بأولئك فإن الحق ما زال مصونًا عزيزًا نفيسًا كريمًا لا ينال مع الإضراب عن طلبه وعدم التشوق والتشوف إلى سببه ولا يهجم على البطالين المعرضين ولا يفاجئ أشباه الأنعام الغافلين، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مبطل ولا جاهل، ولا بطال ولا غافل، فإنا لله وإنا إليه راجعون

وطالع قصة سلمان الفارسي وأضرابه وانظر كيف كان صبرهم واعرف قدر ما أنت طالب فإنك طالب لأعلى المراتب، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال في الآخرة: ﴿**وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا**﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال: ﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ**﴾ [البقرة: ٦٣].

وليس في الوجود بأسره أعز ولا أفضل من الإيمان بالله وكتبه ورسله ومتابعتهم ومعرفة ما جاؤوا به فلا تطلب ذلك أهون الطلب فإني أرى الأكثرين لا يرضون بالغبن ولا بالنقص في بيع بعض السلع، وأرى طالب الأرباح الدنيوية يطلبها أشد الطلب من أبعد الأقطار بأشق الأسفار.

ولا ينبغي أن يستوحش الظافر بالحق من كثرة المخالفين له كما لا يستوحش الزاهد من كثرة الراغبين ولا المتقي من كثرة العاصين ولا الذاكر من كثرة الغافلين، بل ينبغي أن يستعظم المنة باختصاصه بذلك مع كثرة الجاهلين له الغافلين عنه، وليوطن نفسه على ذلك، فقد صحّ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إن هذا الدِّين بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» رواه مسلم) اهـ [1] .

فاعرف ما تطلب ليهون عليك ما تبذل، فإن نجاك الله من هذه الأهواء فقد نجاك من شر كبير:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيا

قال الشافعي -رحمه الله-:

(لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء) [2] .

وقال الشعبي -رحمه الله-:

(إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار) [3] .

---

(١) «إيثار الحق على الخلق» (ص١١٣ - ١١٧) .
(٢) «سنن البيهقي» (١٠/ ٢٠٦) .
(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة» (١/ ١٣٠) .

قال أبو معشر -رحمه الله-:

(سألت إبراهيم -يعني ابن يزيد بن الأسود- عن شيء من هذه الأهواء. فقال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير، ما هي إلا نزغة من الشيطان عليك بالأمر الأول) (١) .

ولخطورة هذه الأهواء وضررها قال ابن عمر -رضي الله عنهما-:

(ما فرحتُ بشيء من الإسلام أشد فرحًا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء) (٢) .

وإذا كان هذا هو فرح السلف بعدم التلبس بالأهواء فإنهم كانوا يفرحون فرحًا شديدًا بعدم التلبس ببدعة الخوارج على وجه الخصوص لخطورتها وفظاعتها وشدة الوعيد المترتب على مَن التبس بهذه البدعة، والتي تمثلها الآن طوائف منها البرهامية.

قال أبو العالية -رحمه الله-:

(إن عليّ لنعمتين ما أدري أيتهما أعظم؛ أن هداني الله للإسلام، ولم يجعلني حرُوريًا) يعني خارجيًا.

وأنا أعتقد أن من نعمة الله عليّ أنه لم يجعلني برهاميًا ولا حزبيًا.

❑ ● ❑

(١) «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة (ص١٧) .
(٢) سنن الدارمي نحوه عن مجاهد موقوفًا عليه (١/ ١٠٣) .

٢- الاعتصام بالله

• • •

ثانيًا: الأخذ بالأسباب والسعي للوصول إلى الحق مع التوكل على الله تعالى، والاعتصام به سبحانه وتعالى:

قال ابن القيم -رحمه الله-:

(أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فتتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك.

وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله توفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده.

وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك فإن كان كل خير فأصله التوفيق -وهو بيد الله لا بيد العبد فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجًا دونه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: إني لا أحمل هَمّ الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمتُ الدعاء فإن الإجابة معه) [١] .

---

(١) «الفوائد» (٩٠ - ٩١) .

اطلب الهداية من الله، واصدق الله في طلبها فإن الهُدى بيد الله.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي! إني حرَّمت الظُلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم.....» (١).

فمن استهدَى الله هداه ووفقه إلى ما يحبه ويرضاه، ولكن اسأله بصدق وأنت متجرد من التعصب والهوى وتذلل وتضرع، وألح في الدعاء وأظهر لربك الافتقار لعظمته، فإنه إن تولاك هداك، وإن لم يتول أمرك تركك لنفسك فضللتَ وهلكتَ.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، اللهم إني أعوذ بعزَّتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون» (٢).

انظر أيها المسترشد كل هذا الثناء والتضرع ليستعيذ بالله أن يضله عن سواء السبيل، ومثله كان يتوسل ويتضرع إلى الله به ليسأله الهداية لِما اختلف فيه الناس من الحق.

---

(١) أخرجه مسلم، حديث ٢٥٧٧.

(٢) متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لِما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» (١) .

فإن قَبِلَ الله دعاءك يسَّر لك الهدى.

قال يوسف بن أسباط: كان أبي قدريًا، وأخوالي روافض، فأنقذني الله بسفيان.

ونحن الآن في وسط هذه الفتن العظيمة وهذه المناهج المختلفة التي تدعي أنها على الحق -الإخوان - التبليغ - التكفير - الجهاد - الجماعة الإسلامية - البرهامية - وغيرها، والكل يدعي الحق.

فاصدق التوجه إلى الله والاعتصام به لييسِّر لك مَن ينقذك من هذه الأهواء، فيهديك للزوم الكتاب والسُّنة واتباع كبار علماء الأُمة.

❑ ● ❑

(١) أخرجه مسلم ٧٧٠ .

٣- لزوم غرز كبار العلماء

• • •

ثالثًا: اطلب الحق وابحث عنه وتريث في البحث فإن تبين لك الحق فاقبله من أي أحد، واعلم أن الحق لن يعدو كبار علماء الأُمة في هذا الزمان فهم الذين أقامهم الله لحفظ دينه فما أجمعوا عليه فهو حق إن شاء الله:

فالإخوان يقولون نحن على الحق، والجهاد يقولون نحن على الحق، والجماعة الإسلامية يقولون نحن على الحق، وسلفية الإسكندرية يقولون نحن الحق، وكل جماعة وفِرقة تقول هذا، فإن دعاك أحد إلى قوله في تكفير الحكَّام أو الجنود و الخروج عليهم وتهييج الناس والمظاهرات والاعتصامات وحمل السلاح عليهم وتكوين جماعة وإمارة وسمع وطاعة وأخذ البيعة بأي صورة كانت لشيخهم أو قيمهم أو قائدهم أو حضور دروسهم والجلوس في مجالسهم السرية أو القدح في العلماء أو قراءة كتبهم وأبحاثهم الفكرية أو سماع أشرطة دعاتهم أو غير ذلك، فتأنّ ولا تتعجل واسأل مَن معهم من أهل العلم الكبار المعتبرين، فلن تجد عالمًا واحدًا من علماء الأُمة الكبار المعتبرين أئمة الهدى كان ينتمي إلى جماعة من هذه الجماعات مع أنها كانت موجودة بقوة في حياة من مات منهم والموجودون الآن لا ينتمون إليها بل كانوا ينقدون هذه الجماعات ويسمونها فِرق من فرق الضلال وقد نقلنا أقوالهم في كتاب «الإنصاف».

فالمهم أن تتريث عند ما يأتيك أي شيء حتى تتأكد أنه الحق وتذكر أنه لن يعدو إن شاء الله كبار علماء الأُمة.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-:

(إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة فإنك أن تكون تابعًا في الخير خير من أن تكون رأسًا في الشر) (١) .

وقال الإمام البربهاري -رحمه الله- في وصية عظيمة جدًا:

(فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلنَّ ولا تدخلنَّ في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنهم، أو أحد من العلماء فإن أصبت فيه أثرًا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيء فتسقط في النار) (٢) .

قال العلامة الفوزان -حفظه الله- في شرحه:

(لا تستعجل فيما تسمع من الناس خصوصًا عند تأخر الزمان وكثرة من يتكلم ويفتي وينتصب للعلم والقول، وخصوصًا لما جدَّت وسائل الإعلام وصار كلٌ يهذو ويتكلم باسم العلم وباسم الدِّين، حتى أهل الضلال والفِرق الضالة والمنحرفة صاروا يتكلمون باسم الدِّين الآن في الفضائيات، فالخطر عظيم جدًا.

فعليك أيها المسلم وطالب العلم بالذات أن تتثبت ولا تستعجل مع كل ما تسمع عليك بالتثبت ومعرفة من الذي قال هذا؟ ومن أين جاء هذا الفكر؟ ثم ما هي مستنداته وأدلته من الكتاب والسنة؟ ثم أين تعلَّم صاحبه؟ وعمن أخذ العلم؟

---

(١) «ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٥٦) .

(٢) «شرح السنة».

فهذه أمور تحتاج إلى تثبت خصوصًا في هذا الزمان فما كل قائل حتى ولو كان فصيحًا وبليغًا ويشقشق الكلام ويأخذ بالأسماع لا تغتر به حتى ترى مدى ما عنده من العلم والفقه، فربما يكون كلامه قليلاً لكنه فقيه، وربما يكون كلامه كثيرًا لكنه جاهل ليس عنده شيء من الفقه بل عنده سحر الكلام حتى يغتر الناس ويتظاهر بأنه عالم وبأنه فاهم وبأنه مفكِّر ونحو ذلك حتى يغر الناس ويخرج بهم عن الحق. . . وهذا هو الواقع في زماننا يكثر الكلام ويقل العلم، يكثر القراء ويقل الفقهاء، والفقه ليس هو بكثرة الكلام أو كثرة القراءة أو جودة الكلام أو حُسن التعبير، يقول الشاعر:

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سُوء تعبير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

فالبليغ يقلب الحق باطلاً والباطل حقًا ببلاغته، فاحذر من هذا، ولهذا حذر النبي ﷺ من فصيح اللسان الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها حذر من هذا وقال: «إن من البيان لسحرًا» يعني سحر الأسماع.

فقوله: (فانظر -رحمك الله- كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تعجلنَّ ولا تدخلنَّ في شيء منه): هذا في وقت المؤلف، والمؤلف يكاد يكون معاصرًا للإمام أحمد لأنه من تلاميذ تلاميذه يقول لا تعجل في قبول كلام أهل زمانك حتى تتثبت منه أين هو من عصرنا الآن! عصر الأهواء وعصر الجهل وعصر اختلاط العالم بعضه ببعض حتى أصبح يموج بالفتن والشرور والأفكار. . . فالفقه فيه عصمة من الفتن، والفقه هو الفهم، قد يكون الإنسان كثير الحفظ لكن ليس عنده فهم فيكون هو والعامي سواء، بل ربما يكون العامي أحسن منه لأنه يتوقف ويعرف جهله وهذا لا يعرف أنه جاهل،

ليست المسألة كثرة حفظ أو كثرة كلام، المسألة مسألة فقه، ولهذا قال ﷺ : «ربُّ مبلَّغٍ أوعى من سامع» فقد يحفظ الإنسان وينقل ويروي لكن يكون هناك من هو أفقه منه «ربُّ حامل فقه وهو غير فقيه» .

قوله: (فلا تعجلنَّ ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر حتى تكلم فيه أحد من أصحاب النبي ﷺ): هذه وصية عظيمة إذا أعجبك كلام من أحد في الدِّين، فلا تعجل حتى تنظر فيه هل هو مؤسَّس على حق وأدلة أم من الرأس ومن الفكر فهذا غثاء كغثاء السيل، اتركه حتى تسأل أهل العلم عنه وتنظر هل قاله أحد من السلف أو لم يقولوه.

وهذا ما حذرتُ منه مرات، أقول لا تحدثوا اجتهادات وآراء وأقوالاً وعبارات لم تسبقوا إليها خذوا القدوة من السلف ومن كلام السلف لو أتيت بشيء لم تسبق إليه فإنه يكون شذوذ أو خطره أكثر من نفعه، فكلام الصحابة هو الميزان لأنهم تلاميذ الرسول ﷺ ، عليكم بالكتاب والسُّنة بفهم السلف الصالح، لا تحدث فهمًا من عندك أو من عند المتأخرين.

قوله: (أو أحد من أهل العلم) أي قاله أحد من العلماء المعتبرين من الأئمة الذين يسيرون على منهج صحابة الرسول ﷺ ؛ لأنهم هم الرواة عن الصحابة، والصحابة هم الرواة عن الرسول ﷺ .

قوله: (ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النار) ولا تختر على ما جاء عن السلف شيئًا مما جاء به المتأخرون فتسقط في النار؛ لأنك خالفت طريق الجنة وطريق الجنة هو ما عليه ﴿ **الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء: ٦٩]) [١] .

(١) «إتحاف القارئ بالتعليقات على شرح السنة» (١/ ١٠٢ - ١٠٨) .

٤- التجرد من الهوى

• • •

رابعًا: لا بد عند بحثك عن الحق أن تتجرد من الهوى:

والهوى يجعل الإنسان يرى الحق فيما يهواه ويحبه وإن كان مخالفًا للحق، فاتباع الهوى كما يقول الشاطبي -رحمه الله-: «هو أصل الزيغ عن الصراط المستقيم»؛ لأن صاحب الهوى لا ينظر إلى الدليل نظر المستبصر به المفتقر إليه كي يسير على نوره ويهتدي بهداه وينقاد له ،وإنما يحكم هواه أولاً ثم يلجأ إلى الأدلة ليؤيد بها ما حكم به من هواه، وهذا أصل ضلال الفِرق التي خالفت منهج أهل السُّنة والجماعة وشطت به.

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-:

(سُمي أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا بالأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتى يصدروا عنها بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك) [١] .

فأهم شيء عند هؤلاء الثبات على ما يهواه أحدهم حتى وإن تبين له الحق، قد أُشرب الهوى في قلبه كما أُشرب بني إسرائيل حُب العجل فملأ قلوبهم فأصمَّهم وأعمى أبصارهم عن رؤية الأخطاء في هذه الجماعة أو في هذا الشيخ، ولو أخرج نفسه من هذه البوتقة التي يعيش فيها وتسيطر على عقله لاستطاع أن يفهم ويعقل.

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ١٧٩).

ولنأخذ الجماعة البرهامية مثَل على هذا:

فتجد أحدهم قد سيطر عليه أن الشيخ ياسر برهامي لا يخطأ في العقيدة وكذلك غيره من مشايخ الجماعة.

فإذا أتاهم أي شخص بأخطاء وبدع عقدية للدكتور ياسر أو غيره من مشايخ الجماعة بأدلة ظاهرة وبينات قاهرة لا يجد لها دفعًا ولا عنها مخلصًا، فإذا به يحاول رد هذه الأدلة بأي شيء.

قال الشاطبي -رحمه الله-:

(فكذلك صاحب الهوى إذا دخل قلبه وأُشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان ولا يكترث لمن خالفه . . . .) [1] .

فتكون المسألة تحدي نفسي عظيم بين تعظيم الشيخ وتعظيم الحق.

فمن وفَّقه الله عظَّم الحق وترك الشيخ، فتخلص من هذا الداء العضال.

ومن عظَّم الشيخ، وترك الحق بعدما تبين اتباعًا للهوى، أزاغ الله قلبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

(وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعًا لهواه، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمي قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٠٩ - ١١٠]) اهـ [2] .

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ٢٦٨).

(٢) «التحفة العراقية» (ص ٢٩٩) مكتبة الرشد.

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

(من نصر هواه فسَدَ عليه عقله ورأيه؛ لأنه قد خان الله في عقله فأفسده عليه، وهذا شأنه سبحانه في كل مَن خانه في أمر من الأمور فإنه يفسده عليه.

وقال المعتصم يومًا لبعض أصحابه: يا فلان! إذا نصر الهوى ذهب الرأي!!

وسمعت رجلاً يقول لشيخنا: إذا خان الرجل في نقد الدراهم سلبه الله معرفة النقد أو قال نسيه. فقال الشيخ: هكذا مَن خان الله ورسوله في مسائل العلم) [1] .

❑ ● ❑

(١) «روضة المحبين» (ص ٣٨٦ - ٣٨٧) .

٥- التجرد من التعصب

• • •

خامسًا: لا بد عند بحثك عن الحق أن تتجرد من التعصب:

فالتعصب هو الداء العضال الذي يعمي الإنسان عن رؤية الحق وطلبه والسعي إليه .

حتى قال أبو حامد الغزالي -رحمه الله- واصفًا حال هذا المرض إذا استولى على الإنسان:

(يستولي على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له: هل تريد أن يكشف الله -تعالى- لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك، لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه، وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد، وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب) [١] .

فاحذر من التعصب لجماعة أو لشيخ فإذا أتاك أحد ينتقد شيخك فلا يكن أول ما يخطر ببالك ويتبادر إلى ذهنك هو كيف تنصر شيخك لأنه على الحق، ومن نقده على الباطل -هكذا دون تحرٍ أو نظر أو تثبت- فعندها تكذب وتحرف الأدلة وترد الحق وطبعًا كل هذا من أجل مصلحة الدعوة أو الشيخ الذي هو صورة الدعوة وهذه خيانة لأمانة الشريعة.

قال الشوكاني -رحمه الله-:

(إذا تقرر لك هذا وعلمت بما فيه من الضرر العظيم الذي يمحق بركة العلم ويشوِّه وجهه ويصيره بعد أن كان من العبادات التي لا يشبهها طاعة

(١) «إحياء علوم الدِّين» (١/ ٩١).

ولا تماثلها قُربة معصية محضة وخطيئة خالصة، تبين لك نفع ما أرشدتك إليه من تحري الإيمان الذي من أعظم أركانه وأهم ما يحصله لك أن تكون منصفًا غير متعصب في شيء من هذه الشريعة، فإنها وديعة الله عندك وأمانته لديك، فلا تخنها وتمحق بركتها بالتعصب لعالِم من علماء الإسلام، بأن تجعل ما يصدر عنه من الرأي ويروى له من الاجتهاد حُجة عليك وعلى سائر العباد، فإنك إن فعلتَ ذلك كنتَ قد جعلته شارعًا لا متشرعًا، ومكلِّفًا لا مكلَّفًا، ومتعبِّد لا متعبَّدًا، وفي هذا من الخطر عليك والوبال لك ما قدمته) اهـ [1].

فالمتعصب لا يصل إلى الحق بل يصر على رأيه وإن قام الدليل على خلافه ولسان حاله ينبئ أنه وصل إلى الحقيقة المطلقة التي لا تقبل المنازعة أو النقد أو التخطئة، وهذا داء عضال يحول دون اتباع الحق والإذعان له.

حتى قال العز بن عبد السلام -رحمه الله- في البحث مع من وصل إلى هذه الحالة من التعصب:

(فالبحث مع هؤلاء ضائع مفضٍ إلى التقاطع والتدابر من غير فائدة يجديها، وما رأيت أحدًا رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره) [2] .

فلا بد من التجرد من التعصب لتصل إلى الحق.

هذه بعض أسباب النجاة من فتنة خلط الحق بالباطل، والجامع لها سببان:

---

(١) «أدب الطلب» (ص ٨٧).

(٢) «قواعد الأحكام» (٢/ ١٣٦) .

الأول: الاعتصام بالله.

قال ابن القيم -رحمه الله-:

(وأما الاعتصام به فهو: التوكل عليه والامتناع به والاحتماء به وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه ويعصمه ويدفع عنه.... فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كل سبب يفضي به إلى العطب ويحميه منه فيدفع عنه الشُبهات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن وشر نفسه ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه... فيدفع عنه قدره بقدره، وإرادته بإرادته، ويعيذه به منه) (١).

الثاني: لزوم العلماء الكبار أئمة الدين، والابتعاد عن الدخلاء الذين يدَّعون العلم.

قال الإمام ابن حزم -رحمه الله-:

(لا آفة أضر على العلوم وأهلها من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون) (٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

(ومَن له في الأُمة لسان صِدق عام بحيث يُثنَى عليه ويُحمَد في جماهير أجناس الأُمة، فهؤلاء هُم أئمة الهُدى ومصابيح الدُّجَى) (٣).

❑ ● ❑

(١) المدارج (١/ ٤٦٢).
(٢) الأخلاق والسير (ص٩١).
(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣).

القسم الأول من

كشف الحقائق الخفية

• • •

ما يتعلق بالتكفير بالذنوب

وتكفير الجنود واستحلال دمائهم

تكفير مَن بنى كنيسة أو حرسها

• • •

قال الدكتور/ ياسر برهامي (ص٢٠٨) «شرح منة الرحمن» في بيان الولاء المحرَّم:

(خامسًا: النصيحة والمعاونة:

فمَن نصح لهم وعاونهم على باطلهم ومنكرهم فقد اتخذهم أولياء، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فلو عاونهم على إقامة الكفر لكفر كمعاونة النصرة، وأما من عاونهم على معصية فهو عاصٍ) اهـ.

ثم قال (ص٢١٧):

(وكما ذكرنا أن كل ما كان فيه تعاون على الإثم والعدوان كأن يعمل بناءً فيبني لهم كنيسة أو معبدًا فإن هذا من إقامة الكفر والتعاون على إقامته وكذلك أن يحرسها لهم...).

ثم قال في الهامش (ص٢١٧):

(أما من أكره على ذلك فننظر في شروط الإكراه وهل هو فعلاً مُكره على ذلك أم لا؟ أي هل يكره على أن يفعل فيزول عنه الإثم؟

وشرط ذلك: أن لا يكون قادرًا على التخلص منهم ولو بالفرار، فالموالاة تجوز مع الإكراه المعتبر لأن الله عز وجل قال: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

ثم قال هامش (ص٢١٩):

(فعند الإكراه على حراسة كنيسة ونحو ذلك ننظر في شروط الإكراه إن استوفت شروط الإكراه فهو معذور وإن لم يكن مُكرهًا وكان يمكنه التخلص من ذلك وترك هذا الأمر بأي وسيلة من الوسائل فإنه لا يكون مُكرهًا) اهـ.

قلت: وخلاصة قوله في ذلك: أن من أعان الكفار على إقامة الكفر فهو كافر مطلقًا بلا تفصيل بين مَن فعل ذلك لمصلحة دنيوية أو نحوه مع بغض الكفر وحُب الإسلام وبين مَن فعل ذلك راضيًا بالكفر محبًا له مقدمًا له على الإسلام، ومن هذه الصور التي يراها من الإعانة على الكفر وعلى إظهاره بناء الكنائس والمعابد والقيام على حراستها، فمن فعل ذلك وقع في الولاء المكفِّر وتتنزل عليه آية المائدة ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة: ٥١] إلا إذا أُكره على ذلك وتحقق فيه شروط الإكراه المعتبر فلا يكفر لقوله تعالى ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ [النحل: ١٠٦] الآية، وتأكيدًا لهذا المعنى:

قال في الفتاوى الجزء الأول (ص١١٨):

(وأما بناء الكنائس وسائر المعابد في ديار الإسلام أو الأمصار التي مصروها فلا يجوز باتفاق العلماء لأنه من إظهار الكفر والإعلان به والدعوة إليه) اهـ.

قلت: وهذا تأصيل خارجي عجيب، فيه:

١- تكفير بالذنوب التي لا نص على تكفير المسلم بمجرد فعلها وهذا لا يفعله إلا الخوارج.

٢- تكفير بالأعمال الجائزة المباحة مع تنزيل آيات القرآن في غير موضعها فعل الخوارج الأول.

وبيان ذلك: أن أهل العلم عندما تكلموا في بناء المسلم للكنائس والمعابد لم يجعلوا ذلك من الأعمال المكفِّرة بذاتها، وإنما أجمعوا على أن ذلك ذنبٌ من الذنوب، ولذلك لم يذكرها أحد أبدًا من العلماء في باب الردَّة أو لم يذكرها أحد من أهل العلم على أنه عمل مكفِّر.

جاء في فتوى اللجنة الدائمة - فتوى في حكم بناء المعابد الكفرية في جزيرة العرب مثل الكنائس:

(الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين المقيدة استفتاءاتهم في الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٨٦) وتاريخ ٥/ ١/ ١٤٢١هـ ورقم ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، وتاريخ ٢/ ٣/ ١٤٢١هـ بشأن حُكم بناء المعابد الكفرية في جزيرة العرب مثل بناء الكنائس للنصارى والمعابد لليهود وغيرهم من الكفرة.

فكان في الجواب:

أجمع العلماء على تحريم بناء المعابد الكفرية مثل الكنائس في بلاد المسلمين وأنه لا يجوز اجتماع قِبلتين في بلد واحد من بلاد الإسلام وألا يكون فيها شيء من شعائر الكفار لا كنائس ولا غيرها، وأجمعوا على وجوب هدم الكنائس وغيرها من المعابد الكفرية إذا أحدثت في أرض الإسلام، ولا يجوز معارضة ولي الأمر في هدمها بل تجب طاعته، وأجمع العلماء -رحمهم الله تعالى- على أن بناء المعابد الكفرية ومنها الكنائس في جزيرة العرب أشد إثمًا وأعظم جُرمًا للأحاديث الصحيحة الصريحة

بخصوص النهي عن اجتماع دينين في جزيرة العرب منها قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» رواه مالك وغيره وأصله في الصحيحين [١] .

فهذا كلام واضح وإجماعات ظاهرة واضحة على أن هذا الفعل ذنبٌ لا كفر، ولا ينتقل هذا الفعل إلى الكفر إلا إذا ارتبط بأمور أخرى بيَّنها شيخ الإسلام وغيره.

جاء في المصدر السابق في فتوى اللجنة الدائمة (ص ٣٠٥ - ٣٠٦):

(قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يعبد فيها، أو أن ما يفعله اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة لرسوله أو أنه يحب ذلك أو يرضاه أو أعانهم على فتحها وإقامة دينهم وأن ذلك قُربة أو طاعة فهو كافر -وقال أيضًا:- مَن اعتقد أن زيارة أهل الذمَّة كنائسهم قُربة إلى الله فهو مرتد، وإن جهل أن ذلك محرَّم عُرِّف ذلك، فإن أصر صار مرتدًا) انتهى [٢] .

تأمل هذا التحقيق الدقيق لشيخ الإسلام -رحمه الله- وهو الذي عليه أهل العلم، فبناء الكنائس والمعابد في أصله معصية لا يكفر المسلم ويكون من أوليائهم بمجرده إلا إذا انضم إلى ذلك هذه العقيدة القلبية، وهي اعتقاد أن هذه الكنائس بيوت الله التي يعبد فيها، وأن ما يفعله اليهود والنصارى داخل هذه المعابد طاعة يحبها الله، وبناها أو أعانهم على فتحها معتقدًا أن ذلك قُربة وطاعة لله -جل وعلا-، أو اعتقد أن زيارتهم لهذه الكنائس قُربة

(١) «اللجنة الدائمة، نقلاً عن الفتاوى الشرعية في المسائل العصرية من فتاوى علماء الحرم» (ص ٣٠٣ - ٣٠٥).

(٢) المرجع السابق.

يتقرب بها إلى الله، وهذا كله عائد إلى تصحيح الكفر والرضا به. فهذه العقائد هي التي عليها مناط التكفير، وأما مجرد البناء مع انتفاء هذه العقائد فهو ذنبٌ لا يكفِّر به إلا الخوارج الذين يكفرون بالذنوب.

وأما حراسة الكنائس:

فكما هو معلوم أن هذه الحراسات إنما وضعت بعد اعتداء الجماعة الإسلامية وغيرها على الكنائس مما أدى إلى بعض ضغوط الدول الخارجية والخوف من إحداث فتن داخلية، فقرر ولاة الأمور وضع هذه الحراسات لمنع مثل هذه الاعتداءات لنشر الأمن واستقرار الأوضاع حتى لا تحدث الفوضى التي حدثت في بعض البلاد التي لا يأمن فيها المسلمون وغيرهم على أنفسهم.

وعلى هذا، فهؤلاء الحرَّاس الذين ينفذون هذه الأوامر يأدون أمرًا إن لم يكن مستحبًا من باب نشر الأمن بين المسلمين فهم في أقل الأحوال يؤدون أمرًا مباحًا ليس ذنبًا أو معصية.

فحتى على قول الخوارج: هذا الفعل لا يقتضي التكفير.

ولا أدري كيف جعله الدكتور ياسر من الولاء المكفِّر الذي لا يعذر من فعله إلا بالإكراه.

فمن سبقه بهذا من أهل العلم؟!!

إن هذا لشيءٌ عجاب!!

طريقة الخوارج في تكفير المسلمين: وذلك عن طريق تنزيل آيات الله في غير الموطن الصحيح فيكفر من لا يستحق التكفير:

لقد استدل الدكتور ياسر على تكفير مَن بنَى الكنيسة أو المعبد بأنه بهذا الفعل أصبح من أوليائهم لذلك فهو منهم كافر مثلهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

قلت: وهو بهذا الاستدلال يخالف أهل العلم الذين لم يجعلوا هذا الفعل من الولاء المكفِّر إلا إذا انضم إلى فعل العبد الرضا عن كفرهم أو تصحيح مذهبهم أي الفعل الظاهر مع فساد الاعتقاد فلم يطلقوا التكفير بمجرد الفعل.

وإليك أقوال أهل العلم في تفسير هذه الآية حتى يتبين لك أنه يفعل فعل الخوارج فينزل آيات الله في غير موضعها:

١- قال الإمام الطبري -رحمه الله-:

(ومن يتولى اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم يقول فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملَّتهم فإنه لا يتولى متولٍ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصارحكمه حكمه) (١).

٢- قال الشيخ المراغي -رحمه الله-:

(أي ومن ينصرهم أو يستنصر بهم من دون المؤمنين وهم أعداء لكم فإنه منهم لا منكم لأنه معهم عليكم إذ لا يتصور أن يقع ذلك من مؤمن صادق.

قال ابن جرير: «فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملَّتهم فإنه لا يتولى متولٍ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه» اهـ

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٣٧٥).

ومن هذا تعلم أنه إذا وقعت الموالاة والمحالفة والمناصرة بين المختلفين في الدِّين لمصالح دنيوية لا تدخل في النهي الذي في الآية كما إذا حالف المسلمون أمة غير مسلمة على أمة مثلها لاتفاق مصلحة المسلمين مع مصلحتها فمثل هذا لا يكون محظوراً. .) (١) .

قال ابن جزي الكلبي -رحمه الله-:

(﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ تغليظ في الوعيد، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله واستحقاق العقوبة) (٢) .

قال أبو حيان الأندلسي -رحمه الله-:

(قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: فإنه منهم في حُكم الكفر، أي ومن يتولهم في الدِّين. وقال غيره: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾ في الدنيا ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ في الآخرة. وقيل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾ منكم في العهد ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ في مخالفة الأمر.

وهذا تشديد عظيم في الانتفاء من أهل الكفر وترك موالاتهم وإنحاء عبد الله بن أُبي ومن اتصف بصفته، ولا يدخل في الموالاة لليهود والنصارى من غير مصافاة.

ومن تولاهم بأفعاله دون معتقده ولا إخلال بإيمان فهو منهم في المقت والمذمة، ومن تولاهم في المعتقد فهو منهم في الكفر) اهـ (٣) .

---

(١) «تفسير المراغي» (٦/ ١٣٦ - ١٣٧) .

(٢) «تفسير التسهيل» (١/ ٢٤٠).

(٣) «تفسير أبي حيان البحر المحيط» (٤/ ٢٩١) .

وقال العلامة صدِّيق حسن خان -رحمه الله-:

(أي ومن يتولى اليهود والنصارى دون المؤمنين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي فإنه من جملتهم وفي عدادهم لأنه لا يوالي أحد أحدًا إلا وهو عنه راضٍ فإذا رضي عنه رضي دينه فصار من أهل ملَّته وهو وعيد شديد فإن المعصية الموجبة للكفر هي التي بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية) (١) .

وقال العلامة القاسمي -رحمه الله-:

(الحكم الرابع: أن من تولاهم فهو منهم، ولا خلاف أنه صارعاصيًا لله كما عصوه ولكن أين تبلغ حد معصيته؟ وقد اختلف في ذلك:

فقيل: معنى قوله ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي حكمه حكمهم في الكفر، وهذا حيث يقرهم على دينهم فكأنه قد رضيه، وقيل: من تولاهم على تكذيب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقيل: المراد أنه منهم في وجوب عداوته والبراءة منه.

قال الحاكم: ودلالة الآية مجملة فهي لا تدل على أنه كافر إلا أن يحمل على الموافقة في الدِّين) (٢) .

هذه أقوال أهل العلم واضحة ناصعة تبطل ما تعلق به برهامي وأمثاله وتقضي على هذا الفكر التكفيري الخارجي الذي انتشر على أيدي هذه الفِرقة الضالة.

وخلاصة أقوال أهل العلم في هذه الآية: أن الفعل الظاهر لا يكون مكفِّرًا إلا إذا كان مرتبطًا بعمل القلب من الرضا عنهم واعتقاد عقيدتهم وتصحيح

---

(١) «فتح البيان» (٢/ ٢٧٩) .

(٢) «محاسن التأويل» (٣/ ١٤٨) .

مذهبهم، وأما مع عدم وجود هذه الأشياء فلا يكون هذا الفعل مكفِّرًا، وعلى هذا اتفاق أهل العلم وإجماع علماء السُّنة.

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:

(«من» شرطية، تقتضي أن كل من يتولاهم يصير واحدًا منهم، جعل ولايتهم موجبة كون المتولي منهم.

وهذا بظاهره يقتضي أن ولايتهم دخول في ملَّتهم؛ لأن معنى البعضية هنا لا يستقيم إلا بالكون في دينهم .

ولما كان المؤمن إذا اعتقد عقيدة الإيمان واتبع الرسول ولم ينافق كان مسلمًا لا محالة كانت الآية بحاجة إلى التأويل .

وقد تأولها المفسِّرون بأحد تأويلين:

-إما بحمل الولاية في قوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾ على الولاية الكاملة التي هي الرضى بهم والطعن في دين الإسلام.

-وإما بتأويل قوله ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ على التشبيه البليغ أي فهو كواحد منهم في استحقاق العذاب.

قال ابن عطية: «من تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقدهم ولا إخلال بالإيمان فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم. . .» اهـ.

وقد اتفق علماء السُّنة على أن ما دون الرضا بالكفر وممالاتهم عليه من الولاية لا يوجب الخروج من الربقة الإسلامية، ولكنه ضلال عظيم وهو مراتب في القوة بحسب قوة الموالاة وباختلاف أحوال المسلمين) اهـ [1] .

---

(١) «التحرير والتنوير» (٣/ ٢٣٠) .

وقال الشيخ صالح الفوزان -رحمه الله-:

(التولي على قسمين:

الأول: توليهم من أجل دينهم، وهذا كفر مخرج من الملَّة.

الثاني: توليهم من أجل طمع الدنيا مع بغض دينهم، وهذا محرَّم وليس بكفر).

وقال الشيخ بعده لما سُئل عن الدليل على عدم كفر من أعان الكفار على المسلمين مع بغض دينهم:

(الدليل عموم النهي عن تولي الكفار ونحن قلنا هذا حرام، لكن إذا كان يبغض دينهم ويبغضهم ولكنه أعانهم وهو غير مُكره فهذا لا يحكم عليه بالكفر لأنه يبغض دينهم ويبغضهم ولكنّ فعله وتعاونه معهم محرَّم، وهذا يخشى عليه من الكفر) [1] .

وقال العلامة الشيخ أحمد النجمي -رحمه الله- في كتاب «البيان في الرد على مؤلف كتاب التبيان»:

(الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فقد وصل إليّ كتاب عنوانه واسمه «التبيان في كفر من أعان الأمريكان» هكذا أطلق المؤلف الذي كتب اسمه على الكتاب «ناصر بن حمد الفهد» أطلق هذا الإطلاق بدون شروط ولا ضوابط، مما يثير علامات الاستفهام حول هذا العنوان.

---

(١) «شرح نواقض الإسلام» (ص ١٦٨).

ونحن نقول: لعن الله الكافرين جميعًا، وأبعد الله وخيَّب الله من تعاون معهم تعاونًا يوجب به غضب الله على نفسه بأن كان ذلك منه إعجابًا بهم أو محبة في ملَّتهم أو إيثارًا لها على الإسلام أو محبة لهم وكرهًا للمسلمين، فهذا هو المذموم والمحرَّم، ومنه ما يكون كفرًا، ومنه ما يكون فسقًا ويحكم في ذلك بحسب الوقائع.

١- فمن تعاون معهم على محرَّم لا إيثارًا لدينهم على الدين الإسلامي ولا محبة لهم من أجل ما هم عليه من الكفر ولا كرهًا للمسلمين من أجل ما هم عليه من الإسلام ولكن فعل ذلك من أجل مطمع دنيوي مع اعتقاده بأنهم كفار وأنه مسيئ فهذا فعله يعتبر فسقًا.

٢- أما من أعانهم على شيء يهدم به الإسلام أو يضعفه بأن نصرهم على الإسلام وأهله حبًا لهم وبغضًا للمسلمين أو إعجابًا بدينهم وكرهًا للإسلام فإنه بهذا يكفر كفرًا يخرجه من الإسلام.

ثم قال بعد كلام كثير يوضح فيه هذا المعنى:

وأقول: إذا كانت هذه المادة -أي الولي- لها واحد وعشرون معنى فهل يجوز إطلاق الكفر على كل من اتصف بواحد منها؟ الجواب: لا، لا يجوز إطلاق الكفر إلا فيما يقتضيه وهي الولاية بمعنى المحبة والنصرة والميل القلبي، **وإن هذا الإطلاق يعتبر خطأ كبيرًا يقع صاحبه في عقيدة الخوارج الذين يكفرون بالمعصية**، وهذا ما أردت التنبيه عليه لعل مؤلف هذا الكتاب يتدارك ما وقع فيه فيعلق الكفر على ما تقتضيه هذه المعاني، إن تكفير المسلمين بما لا يوجب التكفير أمر لا يجوز وقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه المتفق عليه: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له

فليس منا وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه. . .») [١] .

وخلاصة هذه المسألة: أن الدكتور ياسر قال فيها بقول الخوارج، واعتقد تكفير المسلمين بما لا يوجب التكفير، وهو بناء الكنائس وحراستها وغيرها مما فيه إعانة لهم، من غير تقيد ذلك بارتباط عمل القلب وهو محبة الكفر وبُغض الإسلام، وتصحيح الكفر واعتقاد أن أهله يتقربون به إلى الله، وهو بهذا ينشر عقيدة الخوارج بين المسلمين.

❑ ● ❑

(١) «الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية» للعلامة أحمد النجمي (ص ٢٥٠ - ٢٦٦) .

تكفير
من رضي بتشريع مخالف لشرع الله بإطلاق

• • •

وهذا أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين يؤصِّل للخوارج الجدد.

يقول في «النصيحة في طرق الجهاد غير الصحيحة» (ص٣١٧) مع إعلان النكير:

(وما أشبه حال المسلمين اليوم بحال أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل التمكين فهم لا يستطيعون إقامة الدِّين في بلادهم فكيف يغزون غيرهم في بلادهم؟).

قلت: وهذا على مفهومهم الذي سنبينه بعد ذلك للدين وهو العمل على إزالة هذه الأنظمة ومواجهتها والقضاء عليها لتحكيم الشرع.

وأما الصلاة والصيام والحج والعُمرة وغيرها من شرائع الإسلام المنتشرة بين الناس، فهذه لا تمثل عندهم إقامة الدِّين.

ولذلك فمع تمكين المسلمين من فعلها في بلادهم وعدم منعهم من فعلها وانتشارها يقول هذا القول الذي يجعل فيه المجتمع الإسلامي الآن مجتمعًا جاهليًا يشبه مجتمع الجزيرة العربية قبل تمكين المسلمين في المدينة وإقامة دولة الإسلام.

وإنك لتعجب من هذا الكلام الذي يقوله هذا الرجل بعد كتاب يرد فيه على غُلاة التكفير، والذي أعتقد من خلال نقدي له في كتاب «التحبير في نقد إعلان النكير» يسَّر الله إتمامه أنه يرد على غُلاة التكفير ويؤصِّل التكفير لغير الغُلاة، أي للخوارج الجدد -الجماعة البرهامية- .

ولذلك يقول في (ص ١٨٠) من «إعلان النكير»:

(فنقول: إن كان لشكري ومقلديه شُبهة فأين شُبهة الذين يقولون بالتوقف والتبين من إخواننا الذين يتبعون أصول أهل السُّنة والجماعة ثم يأخذون هذا الأمر من شكري مستدلين بهذه الأدلة التي يستدل بها؟).

وربما قلتَ: وهل هناك أصول لأهل السُّنة يتبعها التوقف والتبين إحدى فرق الخوارج؟ ما هي هذه الأصول؟

قلتُ: لا، لا توجد أصول لأهل السُّنة يتبعها الخوارج، وإنما قال ذلك لعقيدته هو .

ومن ذلك أنني لما قلتُ في فتح «العلي الودود» (ص١٠١):

(إن تكفير من رضي بتشريع أحل فيه الحرام أو حرم فيه الحلال هكذا بإطلاق ليس من منهج السلف ولا قول أئمة أهل السُّنة، بل هم يفصِّلون في هذه المسألة بين من رضي بذلك اتباعًا لهواه فهذا لا يكفر، وبين من رضي بذلك معتقدًا أن لغير الله حق تحليل الحرام وتحريم الحلال، فهذا هو مناط الكفر).

فإذا بابن أبي العينين يقول في كتاب «التحقيق» الذي ملأه بالكذب عليّ وعلى أهل السُّنة:

(وأقول: هذا كذب على السلف وأئمة السُّنة فقد سبق حكمهم على من أحل الحرام أو حرم الحلال بالكفر، وإذا تقرر ذلك فهذا حكمهم فيمن رضي بالكفر. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما في «مجموع مؤلفاته»: الرضى بالكفر كفرٌ، صرَّح به العلماء).

ثم نقل عن بعض العلماء نفس الكلام -الرضى بالكفر كفر- ثم قال:

(أرأيتَ أخي القارئ كيف بلغ العبث بأصول الدِّين؟ أرأيت لو بلغ هذا الكتاب -أي «فتح العلي الودود»- من لم يحقق ولا اطلع على كلام أهل العلم ثم اتبعه على ذلك أية حال يصير إليها؟!) اهـ.

قلت: فهو في هذا الكلام يكفر بإطلاق وبلا تفصيل من رضي بتشريعات مخالفة لشرع الله سبحانه سواء كان متبعًا لهواه مع اعتقاده أن حق التشريع لله أو كان متبعًا للمشرع البشري معتقدًا أن له حق التشريع مع الله سبحانه ويدعي أن هذا هو قول السلف وأن من فصَّل فهو يعبث بأصول الدِّين، وأن من فصَّل فهو يضلل المسلمين، وأن كلام أهل العلم هو التكفير بإطلاق.

وهذا الذي قاله ابن أبي العينين هو قول الخوارج لا قول أهل السُّنة وعند تطبيقه على المجتمع سنكفِّر قطاعات كبيرة جدًا منه، وقبل أن أبيِّن ذلك أنقل التفصيل الذي ذكرته عن شيخنا العلامة ابن عثيمين ليظهر من الذي يعبث ممن يتبع كلام أئمة السُّنة:

سُئل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: ما حكم اتباع العلماء والأمراء في تحليل ما حرَّم الله أو العكس؟

فأجاب: اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرَّم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يتابعهم في ذلك **راضيًا** بقولهم مقدمًا له ساخطًا لحكم الله، فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله، وكراهية ما أنزل الله كفر؛ لقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ٩]، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل مَن كره ما أنزل الله، فهو كافر.

القسم الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضيًا بحكم الله وعالِمًا بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه تابعهم في ذلك، فهذا لا يكفر ولكنه فاسق، فإن قيل لما لا يكفر؟ أجيب بأنه لم يرفض حكم الله، ولكنه رضي وخالفه لهوى في نفسه، فهو كسائرأهل المعاصي.

ثم ذكر القسم الثالث، وهو أن يتابعهم جاهلاً وقسمه قسمين) [١] .

هذا هو تفصيل أهل السُّنة كما سننقل عن غيره من العلماء قريبًا إن شاء الله.

وأما الخوارج الذين يؤصِّل لهم ابن أبي العينين في هذا الكلام فإنهم سيكفرون مئات الملايين من عُصاة المسلمين الذين يذهبون برضا واختيار وحُب للمعاصي والمحرمات التي أباحتها بعض الدول وذلك لرضاهم بهذه المحرمات التي حللت.

فمن ذهب للبنك راضيًا بالربا وهو معتقد أن الربا حرام لأن الله حرَّمه ولكنه رضي بهذا التحليل حُبًا في المال، فهو كافر عند ابن أبي العينين، ومسلم عاصٍ عند أهل السُّنة.

ومن رضي أن تذهب زوجته أو ابنته إلى مكان مصرَّح فيه بالزنا وهو يعلم أنه حرام ولكنه رضي بهذا حُبًا في المال، فهو كافر عند الخوارج وابن أبي العينين، وأما عند أهل السُّنة فمسلم عاصٍ.

وهكذا في معاصٍ كثيرة من هذا القبيل، إذا طبقنا هذه القاعدة التكفيرية التي لبَّسها ابن أبي العينين على الناس، لكفَّرنا عددًا كبيرًا جدًا من المسلمين.

---

(١) «فتاوى العقيدة للشيخ ابن عثيمين» (ص ٢١٥).

وأظن أن مثل هذه القواعد المفتراه التي ليست عند أهل السُّنة هي التي يقصدها عند قوله: (إخواننا التوقف والتبين الذين يتبعون أصول أهل السُّنة).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

(وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلّ الله، يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدَّلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركًا وإن لم يكونوا يصلُّون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله شركًا مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا -يعني أنه ثابت في عقيدتهم أنهم أحلوا الحرام وحرموا الحلال- لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب) (١).

وقال الشيخ الشنقيطي -رحمه الله-:

(وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام ما حرَّمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه كفرٌ بواحٌ لا نزاع فيه) (٢).

---

(١) «كتاب الإيمان لابن تيمية» (ص ٦٧).

(٢) «الجموع البهية» (٢/ ٣٧٥).

فلا يكفر من عمل بتشريع مخالف لشرع الله راضيًا بذلك متبعًا لهواه مع اعتقاد أنه ليس حق التشريع إلا لله، وأما من رضي بذلك مع اعتقاد حق التشريع لغير الله فهو كافر.

ولكن هؤلاء الذين يؤصِّلون للخوارج قوم سُوء لا يعلمون.

وخلاصة القول: إن ابن أبي العينين يكفِّر بهذه القاعدة ملايين من المسلمين ومع ذلك يكذب على السلف ويقول هذا قول عامة السلف وأئمة الدين، مع أن هذا القول وهذه العقيدة كما هو ظاهر عقيدة الخوارج.

فإلى الله المشتكى.

❑ ● ❑

تكفير من أحب الكفار على رغم كفرهم

• • •

قال الدكتور ياسر في «شرح منة الرحمن» (ص١٩٥) في بيان الولاء المحرَّم:

(أولاً: الحب. أي محبة الكافرين على ما هم عليه من الكفر، ومعنى على ما هم عليه من الكفر إما:

١- حبهم لأجل كفرهم: فهو محب للكفر.

٢- والمعنى الثاني لقولنا: محبة الكفار على ما هم عليه من كفر: هو أن يحبهم رغم ما هم عليه من كفر وهي درجة أقل قليلاً بمعنى إنه يقول أنه «كذا» يحبهم ولو كانوا كفارًا. . . .

فمن أحب الكافرين على كفرهم أي رغم كفرهم فهذه درجة ثانية فهو يحبهم رغم أنهم كفار ويقول «لا قيمة للكفر ولا أثر له ومسائل الدين لا ينبغي أن تكون مفسدة للود بين الناس» فهذا وذاك كلاهما مناقض لصريح القرآن. قال الله عز وجل: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة: ٢٢]، فنفى الله عز وجل الإيمان عمن ودَّ الكافرين. أما الود الذي يكون فطريًا مثل إنسان له أقارب كفار أبوه أو أمه أو . . . إلخ، فهو عنده المحبة الفطرية لهم فيجب أن تصرف هذه المحبة الفطرية إلى حب إسلامهم -أن يسلموا- مع وجود البغض لما هم عليه من الكفر، وما من أحد إلا ويكون عنده شفقة على أهله ولكن يجب أن يكون ذلك مع وجود البغضاء والكراهية على الكفر وهذا لوجود حقيقة الإيمان في القلب ولكمالها فيه) اهـ.

قلت: وهذا الكلام الذي قاله في غاية الخطورة وهو مخالف لما عليه أئمة الدِّين وكبار علماء المسلمين، وذلك لأنه قسَّم المحبة إلى: محبة الكفار لأجل كفرهم وحكم على هذه الصورة بالكفر.

وهذا حق؛ لأنه في هذه الحالة يكون محبًا للكفر ومحب الكفر كافرٌ، ونحن لا نخالفه في هذه الصورة.

ولكنه قال في القسم الثاني من المحبة الذي حكم عليه أيضًا بالكفر: (محبة الكفار على ما هم عليه من كفر -ثم قال:- فمن أحب الكافرين على كفرهم أي رغم كفرهم فهذا وذاك كلاهما مناقض لصريح القرآن فنفى الله عز وجل الإيمان عمن ودَّ الكافرين) .

ثم استثنى من هذا القسم المحبة الفطرية للأهل والزوجة فقط وكما هو معلوم عند أهل العلم أن «الاستثناء معيار العموم»، فمن استثنى فردًا أو أفرادًا من حكم معين فمعنى ذلك أن غيرهم يدخل في هذا الحكم.

وعلى ذلك فمراد الدكتور ياسر الذي لا يمكن أن يحمل كلامه على غيره ولا يحتمل تأويلاً وذلك لأنه قسم وفصَّل فلم يدع مجالاً لاحتمال حمل كلامه في القسم الثاني على القسم الأول ثم استثنى من القسم الثاني ما رآه لا يدخل فيه فوضح مراده من الكلام، وهو أن من أحب الكفار لكفرهم فهو كافر، وهذا موافق لكلام أهل السُّنة وعلماء الأُمة.

وأما مَن لم يحب الكفر بل يبغضه ويكرهه ولا يصححه بل يعتقد بطلانه ولكنه لهوى في نفسه أو لحاجة أحب بعض الكفار برغم كفرهم لا لكفرهم فهو كافر مثلهم إلا من أحب أهله فقط فهو المستثنى.

وهذا الكلام مخالف لما عليه أهل السُّنة، موافق لما عليه الخوارج.

وهذا فيه تكفير لقطاعات كبيرة جدًا من المسلمين ومن درس هذا الكلام وطبقه على الواقع الذي نعيش فيه سيكفِّر ملايين المسلمين من:

الذين يحبون لاعبي كرة القدم غير المسلمين.

والذين يحبون المصارعين ولاعبي الملاكمة وغيرها من الرياضات غير المسلمين.

والذين يحبون المغنيين والممثلين غير المسلمين.

والذين يحبون المخترعين والعلماء والمتخصصين غير المسلمين.

وغير ذلك كثير جدًا من الصور التي يحب المسلم فيها بعض الكافرين مع بغض كفرهم لهوى أو مصلحة أو لموافقة ميوله أو صنعته أو مهنته والتي لا يزيد حكمها في الشرع عن كونها معصية أو كبيرة، ولكنه لا يخرج بها من دائرة الإسلام، ولا يخرج بهذه المعصية من الإسلام إلا الخوارج الذين يؤصِّل لهم من جديد الدكتور ياسر برهامي في سربال السلفية.

قال الإمام ابن جزي الكلبي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾:

(﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ تغليظ في الوعيد، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله واستحقاق العقوبة) [1] .

تأمل قوله -رحمه الله-: (ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله واستحقاق العقوبة) أي فهو مسلم مستحق للعقاب لا يكفر كمن وافقهم في اعتقادهم .

---

(١) «تفسير التسهيل» (١/ ٢٤٠) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

(وقد تحصل للرجل مودتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافرًا كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ، فأنزل الله فيه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ**﴾ [الممتحنة: ١]، وكما حصل لسعد بن عبادة -رضي الله عنه- لما انتصر لابن أُبي في قصة الإفك، فقال لسعد بن معاذ: كذبت والله لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا ولكن احتملته الحمية، ولهذه الشُبهة سمَّى عمر -رضي الله عنه- حاطبًا منافقًا، فكان متأولاً في تسميته منافقًا للشُبهة التي فعلها) (١) .

تأمل قوله (وقد تحصل مودتهم لرحم أو حاجة) فيه رد على كلام برهامي الذي لم يستثني إلا الرحم وكفر من أحبهم لغيره مع بغض كفرهم.

وسُئل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- عن حكم مودة الكفار؟

فأجاب: لا شك أن الذي يواد الكفار أكثر من المسلمين قد فعل محرَّمًا عظيمًا فإنه يجب أن يحب المسلمين وأن يحب لهم ما يحب لنفسه أما أن يود أعداء الله أكثر من المسلمين فهذا خطر عظيم وحرام عليه بل لا يجوز له أن يودهم ولو أقل من المسلمين لقوله تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الممتحنة: ١]) (٢) .

---

(١) «مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٣».

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (٣/ ١٤) .

تأمل -رحمك الله- هذه الإجابة من هذا العَالِم الذي لم يكفِّر من أحب أعداء الله مع صحة عقيدته وبغضه لكفرهم، بل جعل ذلك معصية وإثمًا.

وسُئل رحمه الله: عن حكم مخالطة الكفار ومعاملتهم بالرفق واللين طمعًا في إسلامهم؟

فأجاب قائلاً: (لا شك أن المسلم يجب عليه أن يبغض أعداء الله ويتبرأ منهم لأن هذه هي طريقة الرسل وأتباعهم.

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

وعلى هذا لا يحل لمسلم أن يقع في قلبه محبة ومودة لأعداء الله الذين هم أعداء له في الواقع.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ**﴾ [الممتحنة: ١].

أما كون المسلم يعاملهم بالرفق واللين طمعًا في إسلامهم وإيمانهم فهذا لا بأس به؛ لأنه من باب التأليف على الإسلام، ولكن إذا يئس منهم عاملهم بما يستحقون أن يعاملهم به.

وهذا مفصَّل في كتب أهل العلم ولا سيما كتاب «أحكام أهل الذمَّة» لابن القيم -رحمه الله-) اهـ [١].

(١) «السابق» (٣/ ٣١).

قال العلامة القاسمي -رحمه الله-:

(قال السيد ابن المترضي اليماني في «إيثار الحق» عن الإمام المهدي محمد بن المطهر عليه السلام: أن الموالاة المحرَّمة بالإجماع هي أن تحب الكافر لكفره والعاصي لمعصيته لا لسبب آخر من جلب نفع أو دفع ضر أو خصلة خير فيه) (١) .

قلت: وهو واضح في التفريق بين محبة الكافر لكفره، وبين محبته على رغم كفره، وأنهما ليسا سواء في الحكم كما زعم برهامي.

وقال العلامة ابن عطية -رحمه الله-:

(نفت هذه الآية أن يوجد من يؤمن بالله تعالى حق الإيمان ويلتزم شُعبه على الكمال يواد كافرًا أو منافقًا.

ومعنى «يواد» يكون بينهما من اللطف بحيث يود كل واحد منهما صاحبه

وعلى هذا التأويل قال بعض الصحابة: اللهم لا تجعل لمشرك قِبَلي يدًا فتكون سببًا للمودة فإنك تقول. . . وتلا هذه الآية.

وتحتمل الآية أن يريد بها: لا يوجد من يؤمن بالله والبعث يواد من حاد الله من حيث هو محاد لأنه حينئذ يود المحادة وذلك يوجب أن لا يكون مؤمنًا) (٢) .

سُئل العلامة الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: هل محبة الكفار من غير إعانتهم على المسلمين كبيرة من كبائر الذنوب أم أنها كفر مخرِج من الملة؟

---

(١) «محاسن التأويل» (٧/ ٦٠) .

(٢) «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٨٢) .

الجواب: سبق أن بينَّا أن محبة الكفار بدون أن يكون معها عمل ضد الإسلام والمسلمين أو محبة لدين الكفار أن هذا محرَّم وكبيرة من كبائر الذنوب، إلا إذا صحَّح مذهبهم فإنه كافر، وكذا محبة الكفار التي معها نُصرة للكفار وتأييد الكفار وإعانة على المسلمين، فهذه رِدَّة صريحة) (١) .

قال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله-:

(عندنا في الشرع وعند أئمة التوحيد لفظان لهما معنيان يلتبس أحدهما بالآخر عند كثيرين:

الأول: التولي.

الثاني: الموالاة.

التولي مكفِّر، والموالاة غير جائزة.

والثالث: الاستعانة بالكافر واستئجاره جائز بشروط، فهذه ثلاث مسائل:

أما التولي فهو الذي نزل فيه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي**﴾ الآية، وضابط التولي هو نصرة الكافر على المسلم وقت حرب المسلم والكافر قاصدًا ظهور الكفار على المسلمين.

فأصل التولي المحبة التامة أو النصرة للكافر على المسلم فمن أحب الكافر لدينه فهذا قد تولاه توليًا وهذا كفر، وأما موالاة الكفار فهي مودتهم ومحبتهم لدنياهم وتقديمهم ورفعهم وهي فسق وليست كفرًا، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ**﴾ -إلى قوله:- ﴿**وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ [الممتحنة: ١]، قال أهل العلم: ناداهم

(١) شرح رسالة الدلائل (ص٢١٣).

باسم الإيمان، وقد دخل في النداء من ألقى المودة للكفار، فدل على أن فعله ليس كفرًا بل ضلال عن سواء السبيل، وذلك لأنه ألقى المودة وأسر لهم لأجل الدنيا لا شكًا في الدِّين.

ولهذا قال النبي ﷺ لمن صنع ذلك: «ما حملك على ما صنعت؟ قال: والله ما بي إلا أن أكون مؤمنًا بالله ورسوله، أردتُ أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي..» الحديث أخرجاه في الصحيحين.

فمن هذا يتبين أن مودة الكافر والميل له لأجل دنياه ليس كفرًا إذا كان الأصل الإيمان والاطمئنان به حاصلاً لمن كان منه نوع موالاة.

وأما الاستعانة بالكافر أو استئجاره، فهذا قال أهل العلم بجوازه في أحوال مختلفة) (١).

وخلاصة القول: أن الدكتور ياسر برهامي يكفِّر من أحب الكافرين على رغم كفرهم إلا مَن أحبَّ أهله الكفار، وهو على هذه القاعدة يكفِّر الملايين من المسلمين لولاء المحبة، وهو في ذلك يؤصِّل للخوارج الجدد، الجماعة البرهامية.

❑ ● ❑

(١) «الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن» (ص ٥٠).